هذا كتاب حاشية العلامة الفاضل * البحر الحبر
النحرير الكامل * شيخ مشايخ الاسلام *
وقدوة جميع الانام * مولانا الشيخ ابراهيم
الباجورى على متن البردة للعارف بالله
تعالى البوصيرى نفعنا الله به
والمسلمين آمين
١٦

هذا كتاب حاشية العلامة الفاضل * البحر الحبر
النحرير الكامل * شيخ مشايخ الاسلام *
وقدوة جميع الانام * مولانا الشيخ ابراهيم
الباجوري على متن البردة للعارف بالله
تعالى البوصيري نفعنا الله به
والمسلمين آمين

١٦ -

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن شرح بمدح نبيه قلوب أوليائه * ووشحهم ببردة محاسنه وطيب سنائه * وصلاة وسلاما على من خصه بخواص هباته * وكمله بأكمل عناياته * (أما بعد) فيقول راجي عفو ربه الكريم * عبده الباجوري ابراهيم * اعلم ان مدحه صلى الله عليه وسلم لم يتعاطه فحول الشعراء المتقدمين لان كمالاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى * وشمائله لا تستقصى فالمادحون لجنابه العلي والواصفون لكماله الجلي * مقصرون عما هنالك قاصرون عن اداء ذلك * كيف وقد وصفه الله في كتبه بما يبهر العقول * ولا يستطاع اليه الوصول * فلو بالغ الاولون والآخرون في احصاء مناقبه لعجزوا عن ضبط ما حباه مولاه من مواهبه * ولقد أحسن من قال

أرى كل مدح في النبي مقصرا * وان بالغ المثني عليه واكثرا
اذا الله اثنى بالذي هو أهله * عليه فما مقدار ما تمدح الورى

فكل

فكل علوّ فى حقه تقصير * ولا يبلغ البليغ الا قليلا من كثير * لكن المتاخرون رأوا مدحه بالشمائل والكمالات * من أعظم القرب والطاعات * لاجل التعلق بجنابه الشريف * والتبرك بخدمة قدره المنيف * فأكثروا من مدحه وتفننوا فيه فنونا كثيرة * ومن اجلهم الامام الكامل * والهمام العالم العامل * البليغ الاديب أشعر العلماء * وافصح الحكماء الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى * ومما صاغه صوغ الذهب الاحمر * ونظمه نظم الدر والجوهر * قصيدته المشهورة بالبردة وانما اشتهرت بذلك لانه لما نظمها بقصد البرء من داء الفالج الذى أصابه فأبطل نصفه حتى أعجز الاطباء رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فمسح بيده عليه ولفه فى بردته فبرئ لوقته كما ذكره الناظم فى تعليقه * وقال بعضهم الاولى ان يقال لهذه القصيدة برأة لان المؤلف برئ بها والتى حقها ان يقال لها بردة بانت سعاد التى هى قصيدة كعب بن زهير لان النبى صلى الله عليه وسلم أجازه عليها بردة حين انشدها بين يديه * وقد سألنى بعض الاخوان * اصلح الله لى وله الحال والشان ان اكتب عليها حاشية تبين مقصودها وتبرز مرادها * فاجبته لذلك وان كنت لست اهلا لما هنالك فالتقطت بعض العبارات واجتنيت بعض الثمرات فقلت وبالله التوفيق لأقوم طريق قد اشتهر ابتداء هذه القصيدة ببيت مشتمل على الحمد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وهو

الحمد لله منشى الخلق من عدم * ثم الصلاة على المختار فى القدم

وهو ليس منها لانه وان كان ثناء حسنا فى ذاته الا أن ابتداء القصائد به غير مستحسن عند الادباء لما جرت به عادتهم من افتتاح قصائدهم بذكر لوازم العشق من ذكر الاحبة وديارهم ومقاساة الاحزان والاشواق وتحمل مكاره الفراق ويسمون ذلك غزلا وتشبيبا ويعدون هذا الصنيع من حسن المطلع لاهتمامهم بشأن العشق واغتنامهم شدائده ولذلك قال

بعضهم الشعر لا يبدأ بالبسملة والحمدلة وقد جرت عادة الشعراء بانهم يجردون من انفسهم شخصا يحاورونه دلالا وعتابا وسؤالا وجوابا ايهاما لندرة خبير يظهرون رموز العشق عليه وتخيلا لقلة صديق يضمرون كنوز الحب لديه ولما كان الناظم من أبلغهم وأفصحهم صنع هذا الصنيع كما ستراه ان شاء الله تعالى

أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

(قوله امن تذكر الخ) قد جرد المصنف من نفسه شخصا مزج دمعه الجارى من مقلته بالدم وخاطبه بذلك مستفهما عن سبب مزج الدمع الجارى من المقلة بالدم ماهو هل هو تذكر الجيران المقيمين بذى سلم أو هبوب الريح من جهة كاظمة وايماض البرق فى الليلة الظلماء من اضم وعلم من ذلك أن الهمزة للاستفهام ومن للتعليل فهى بمعنى لام الاجل وهى متعلقة بقوله مزجت وقدمها عليه تنبيها على أن الشك ليس فى نفس المزج اذ هو ثابت مشاهد بل الشك فى سببه والتذكر مصدر تذكر مأخوذ من الذكر بالضم وهو ضد النسيان والجيران بكسر الجيم جمع جار واضافة التذكر اليه من اضافة المصدر لمفعوله بعد حذف الفاعل والاصل تذكرك جيرانا فحذف الفاعل وأقيم المفعول مقامه والمراد بالجيران المحبوبون لان من لازم الجوار الذى هو الملاصقة فى الاصل المحبوبية فالناظم قد أطلق اسم الملزوم وأراد اللازم على سبيل المجاز المرسل والباء للظرفية فهى بمعنى فى والمراد بذى سلم موضع بين مكة والمدينة قريب من قديد وهو محل هناك أيضا والمزج الخلط وقيل أخص منه لانه لا يكون الا فيما يصير بعد الخلط حقيقة واحدة بخلاف الخلط فانه لا يختص بذلك وكنى بمزج الدمع بالدم عن كثرة البكاء والدمع ماء يصعد الى الدماغ فيسيل من مجرى العيون بسبب شدة الحرارة الغريزية عند حادث سرور أو حزن ويكون باردا للسرور وساخنا للحزن فيكون حينئذ كالماء الشديد الحرارة اذا فارق النار القوية لا يبرد الا بعد حين فاذا عظمت الحرارة قلت الرطوبة

فيخرج مع الدمع دم لانه أقرب من غيره لعمومه الاعضاء وسريانه فى سائر العروق فاذا طال البكاء جف الدم فيبيض الدمع ويقال حينئذ شاب الدمع والجرى السيلان بشدة ولذلك عبر الناظم بجرى دون سال والمقلة شحمة العين التى تجمع السواد والبياض وفيها الحدقة التى هى السواد الذى فى وسط العين وتلك الحدقة فيها الناظر ولشدة صفائه كانت العين كالمرآة اذا استقبلها شخص رأى صورته فيها وأفرد الناظم المقلة لان العرب قد يطلقونها ونظائرها مفردة ويريدون بها المثنى كما قال بعضهم بكت عينى وحق لها بكاها * ويحتمل انه بنى أمره على الرجاء والخوف فاذا نظر بمقلة الخوف بكى واذا نظر بمقلة الرجاء سر قال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقى * باخرى المنايا فهو يقظان نائم

ومن الداخلة على المقلة ابتدائية وهى متعلقة بجرى واعترض بان هذه الجملة حشو لا فائدة فيها لان الدمع لا يكون الا كذلك * واجيب بانها ليست حشوا بل للاحتراز عما يحتمله الكلام لولا هذه الجملة من انه مزج الدمع بعد انفصاله من العين بالدم وليس مرادا وفى هذا الجواب نظر لان هذا الاحتمال قائم مع هذه الجملة والاظهر فى الجواب انها تأكيد والدم أحد الامشاج الاربعة التى خلق منها الانسان والباء الداخلة عليه للتعدية بالنظر لقوله مزجت وللمصاحبة بالنظر لقوله جرى فقد تنازعه كل منهما والمراد بدم منك كما قدره بعض الشارحين ليخرج ما يحتمله الكلام لولا هذا التقدير من أنه مزج الدمع بعد انفصاله بدم اجنبى والتنوين فى قوله جيران ودمعا ومقلة ودم اما للتعظيم واما للتنويع * وفى هذا البيت براعة استهلال لان فيه اشارة الى ان هذه القصيدة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم حيث ذكر فيه المواضع التى بقرب المدينة الشريفة وفيه أيضا الجناس الناقص حيث ذكر فيه الدمع والدم فانهما مختلفان بزيادة العين ونقصانها

ام هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق فى الظلماء من اضم

(قوله ام هبت الريح الخ) لما كانت الهمزة لا بد لها من معادل أتى المصنف بما يعادلها فقال أم هبت الريح الخ فأم متصلة وهي حرف عطف يطلب بها وبالهمزة التعيين وجملة هبت الريح في تأويل المفرد أي أم هبوب الريح وكذا جملة أومض البرق أي وايماض البرق فكل من الفعلين مؤول بمصدر وان لم يكن هناك سابك لان وجود السابك أمر أغلبي والا فقد لا يوجد كما في قولهم * تسمع بالمعيدي خير من ان تراه * فان الفعل فيه مؤول بمصدر مع عدم وجود السابك على بعض الاقوال وواو العطف اما على حقيقتها كما هو المتبادر فيكون الترديد بين الشيء والشيئين أو بمعنى أو فيكون الترديد بين ثلاثة اشياء على سبيل منع الخلو فان كلا من تذكر الجيران وهبوب الريح من جهة كاظمة وايماض البرق من اضم سبب للبكاء وموجب للافراط فيه أما التذكر فلانه يحصل به التحسر على ما مضى من وصل الاحبة ومؤانستهم ولقد أحسن من قال

تذكرت اياما لنا ولياليا * مضت فجرت من ذكرهن دموع

ألا هل لنا يوما من الدهر أوبة * وهل لى الى أرض الحبيب رجوع

وأما هبوب الريح من جهة كاظمة فلان المحب دائما يفكر في محاسن محبوبه فاذا هبت الريح من جهة موضعه تخيل انها حملت روائحه اليه واما ايماض البرق من اضم فلان من عادة المحبين أن يرتاحوا للبرق اذا لمع من جهة ديار الاحبة لكون البرق مما يذكر صفات المحبوبين للطافته وأيضا المحب يتخيل عند لمعان البرق انه يرى ديار المحبوب وهبوب الريح هيجانها والريح جسم لطيف شفاف غير مرئى يهب بمقدار مخصوص في وقت مخصوص واذا أتت مفردة فالغالب انها للعذاب واذا أتت مجموعة فالغالب انها للرحمة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لان ريح العذاب واحدة وهي الدبور وعليها خزنة فعتت عليهم فخرجت من مقدار خاتم فأهلكت عادا ولو خرجت من مقدار انف ثور لأهلكت الدنيا وأفردها الناظم هنا لان الحب وان كان عذابا

لكنه مختلط بعذاب وتلقاء بمعنى حذاء وكاظمة اسم موضع كما قاله الجوهري وقال غيره اسم ماء والايماض اللمعان الخفيف وان أطلقه بعضهم عن التقييد بالخفيف والبرق عند أهل السنة أجنحة ملائك تسوق بها السحاب وقيل ضحكه فقد نقل الشافعي في الأم عن الثقة عن مجاهد أن الرعد ملك والبرق اجنحته * وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعث الله السحاب فنطقت أحسن النطق وضحكت أحسن الضحك فالرعد نطقها والبرق ضحكها أي لمعان النور من فيها * وأما قول بعض الشارحين انه صوت ملك يزجر السحاب الى الجهة التي يريدها الله تعالى ففيه نظر وأما عند أهل الهيئة فهو نار تحدث عند شدة اصطكاك الهواء بعضه مع بعض ولذلك اكثر ما يكون عند انتقال الزمان من الحرارة الى البرودة وعكسه والظلماء صفة لموصوف محذوف والتقدير في الليلة الظلماء أي ذات الظلمة وانما خص الليلة الظلماء بالذكر لان الضوء في الظلمة أجلى وقد اختلف في الظلمة فقيل أمر وجودي يضاد النور قائم بالهواء وقيل أمر عدمي واضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة اسم لجبل وقيل اسم لواد بقرب المدينة الشريفة * وفائدة هذين البيتين انهما يكتبان في جام أي قزاز ويمحيان بماء المطر ويسقى المعتوه للبهيمة التي صعب تعليمها وتذليلها فاذا شربت ذلك ذلت وانقادت وتعلمت بسرعة واذا كان عندك عبد أعجمي وعسر عليك تعليمه كلام العرب فاكتب هذين البيتين في رق غزال ثم علقه على عضده الايمن فانه يتكلم بالعربية في اسرع وقت فائدة

فما لعينيك ان قلت اكففا همتا * وما لقلبك ان قلت استفق يهم

(قوله فما لعينيك الخ) لما سأل الناظم عما ذكر ولم يرد عليه المسئول جوابا لان من شأن المحبين أن يكتموا الحب في أول الامر بل جرت عادتهم بانكاره بالمرة نزل الناظم المسئول منزلة المنكر وتعجب من حاله على فرض صدقه في الانكار فقال فما لعينيك الخ أي اذا صدقت في انكارك الحب فأي شئ ثبت لعينيك أوجب لهما انك ان قلت لهما اكففا همتا وأي

شيء ثبت لقلبك أوجب له انك ان قلت له استفق يهم فالفاء للافصاح وجعلها بعضهم للعطف لكن الاول اظهر وما في الموضعين اسم استفهام مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده وجملة قولها كففا في محل نصب مقول القول وكذلك جملة قوله استفق ومعنى اكففا أمسكا عن البكاء وهمتا بمعنى سالتا مأخوذ من الهميان وهو السيلان فأصله هميتا قلبت ياؤه ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت الالف لالتقائها ساكنة مع التاء التى أصلها السكون وان عرض تحركها لمناسبة الالف * وفى كلامه حذف التمييز المحوّل عن الفاعل أى همتا دمعا والاصل همى دمعهما فحوّل الاسناد عن الدمع اليهما وأتى به تمييزا لكن حذفه الناظم والقلب لحم صنوبرى الشكل أى شكله على شكل الصنوبر لانه دقيق الاسفل غليظ الاعلى كهيئة قمع السكر وقال بعضهم القلب سرّ وضعه الله فى هذه اللحمة فتسميتها قلبا لحلوله فيها والسين والتاء فى استفق زائدتان فمعناه أفق مما انت فيه وقوله يهم مضارع هام يهيم اذا قام به الهيام وهو داء كالجنون ينشأ من العشق وغيره وفى هذا البيت الطباق لانه جمع فيه بين متقابلين فى كل من الشطرين أما الشطر الاول فجمع فيه بين قوله اكففا وقوله همتا وأما الشطر الثانى فجمع فيه بين قوله استفق وقوله يهم

أيحسب الصب أن الحب منكتم * ما بين منسجم منه ومضطرم

(قوله أيحسب الصب الخ) لما سأل المصنف المخاطب السؤال المسكت وألزمه الالزام المبهت رجع الى تغليطه فى الانكار فقال أيحسب الصب الخ والهمزة للاستفهام الانكارى ويحسب بكسر السين وفتحها أى يظن وكان مقتضى ماسبق أن يعبر المصنف بتاء الخطاب لكنه التفت الى الغيبة لما جرت به عادة الادباء من تغيير كلامهم من أسلوب الى أسلوب آخر تكلما وخطابا وغيبة تنشيطا للسامع والصب العاشق من قولهم صب الماء لانه لما كان كثير البكاء فكأنه يصب الدمع وقال بعضهم من الصبابة وهى رقة العشق وحرارته وجملة أن واسمها وخبرها سدت مسد

مفعولى

مفعولى يحسب والحب عرفه بعضهم بانه صفاء الحال بين المحب والمحبوب وقوله منكتم أى مستتر وما اسم موصول بمعنى الذى فى محل نصب على انه بدل من الحب أو صفة له وصدر الصلة محذوف أى الحب الذى هو بين الخ كذا قال بعض الشارحين وهو اظهر من جعل بعضهم ما زائدة وجعله بين ظرفا لقوله منكتم وكل من منسجم ومضطرم صفة لموصوف محذوف والتقدير بين دمع منسجم منه وقلب مضطرم والمنسجم السايل من قولهم انسجم الماء سال والمضطرم المشتعل من قولهم اضطرمت النار اشتعلت والمعنى لا يظن العاشق أن الحب مستتر عن الناس الذى هو بين دمع سائل وقلب مشتعل من نار الحب وكل منهما من آثار الحب مع كونهما ظاهرين وحينئذ فانكار الحب غلط

لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل * ولا ارقت لذكر البان والعلم

(قوله لولا الهوى الخ) لما غلط المصنف المسؤل فى انكاره الحب استدل عليه بادلة فقال لولا الهوى الخ والهوى مصدر هوى بكسر الواو اذا أحب فهو بمعنى الحب وهو مبتدأ والخبر محذوف أى موجود ولولا حرف يدل على امتناع الجواب لوجود الشرط فالمعنى امتنع عدم اراقتك دمعا على طلل لوجود الهوى وقوله لم ترق دمعا أى لم تصبه يقال أراق الماء أى صبه ويقال هراق أيضا بمعناه وكان مقتضى قوله أيحسب الخ ان يقول لم يرق بياء الغيبة لكنه التفت الى الخطاب لما تقدم والطلل ما بقى من آثار الدار مرتفعا فان لم يكن مرتفعا بان كان ملتصقا بالارض كان رسما وعلى الداخلة عليه للتعليل أى لاجل طلل هذا ان لم يقدر وقوفه على الطلل كما هو المتبادر والا كانت بمعنى فى وقوله ولا ارقت الخ عطف على قوله لم ترق الخ وأرقت بكسر الراء بمعنى سهرت والبان شجر طيب الريح ويتخذ منه دهن يعرف بدهن البان والعلم يطلق على معان منها الجبل والرمح أى ولا سهرت لذكر البان والعلم الكائنين بمحل المحبوب وعلى هذا فالبان والعلم باقيان على معناهما ويحتمل انه شبه المحبوب بهما فى طيب الرائحة

وحسن الهيئة وطول القامة وانما أورثه ذكرهما السهر لان النوم انما يكون من الرطوبة الصاعدة من المعدة الى الدماغ والمحب تكثر حرارته فتنتفى عنه الرطوبة وحينئذ فلا ينام وتلك الرطوبة تنشأ غالبا عن كثرة الطعام والشراب والمحب يلهيه حبه عن أكله وشرابه فتنتفى رطوبته وتتضاعف حرارته لاسيما عند ذكر معاهد الاحباب أو ما هو شبيه بالاحباب وفى هذا البيت شبه الاشتقاق حيث جمع فيه بين ترق وأرقت

ولا اعارتك لونى عبرة وضنى * ذكرى الخيام وذكرى ساكنى الخيم

(قوله ولا اعارتك الخ) لما ذكر المصنف دليلين اردفهما بدليل ثالث على ما فى بعض النسخ الذى شرح عليها بعض الشارحين لكن لم يوجد ذلك فى كثير من النسخ وهو معطوف على قوله لم ترق الخ ومعنى أعارتك أعطتك على سبيل العارية وقوله لونى عبرة وضنى معمول لأعارتك وفاعله ذكرى الخ والمراد باللونين هنا النوعان والعبرة بفتح العين الدموع والضنى المرض فانسجام الدموع على النحر بمثابة الدر المعلق عليه وذلك لون العبرة ورقة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقة والصبغ وذلك لون الضنى وفى الكلام استعارة بالكناية وتخييل لانه شبه لونى العبرة والضنى بلباسين بجامع الزينة فى كل اما فى المشبه به فظاهر وأما فى المشبه فلأن آثار الحب زينة عند المحب فيتزين بها كما يتزين باللباس تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من ملايماته وهو الاعارة وقوله ذكرى الخيام وذكرى ساكنى الخيم أى تذكر الخيام وتذكر ساكنى الخيم فالذكرى فيهما بمعنى التذكر وكل من الخيام والخيم جمع خيمة وهى بيت تتخذه العرب من عيدان الشجر وحذفت النون من ساكنين للاضافة ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين

فكيف تنكر حبا بعد ما شهدت * به عليك عدول الدمع والسقم

(قوله فكيف تنكر الخ) لما أقام المصنف على المسؤل الادلة على حبه مع صحة نتيجتها أنكر عليه دوامه بعد ذلك على الانكار فقال فكيف تنكر

الخ

الخ والفاء للافصاح لانها افصحت عن شرط محذوف والتقدير اذا قامت عليك الادلة فكيف تنكر الخ وكيف حال مقدمة مضمنة معنى الاستفهام على وجه الانكار ومعنى تنكر تجحد والجحد هو النفي بعد العلم بخلافه قبله وقوله حبا معمول لتنكر وبعد ظرف له وما يحتمل ان تكون مصدرية وهو الظاهر فالفعل بعدها وهو شهدت مؤوّل بمصدر والضمير في به عائد على الحب والتقدير على هذا بعد شهادة عدول الدمع والسقم به عليك ويحتمل ان تكون اسم موصول بمعنى الذي وجملة شهدت صلة والضمير في به عائد على ما والتقدير على هذا بعد الذي شهدت به عليك الخ وفي شهدت استعارة تصريحية تبعية لانه شبه الدلالة الواضحة بمعنى الشهادة بجامع الوضوح في كل واستعار الشهادة للدلالة واشتق من الشهادة بمعنى الدلالة شهدت بمعنى دلت ولفظ العدول ترشيح للاستعارة والعدول جمع عدل والدمع هو الماء الجاري من العين والسقم بفتحتين المرض ويقال فيه سقم بضم فسكون لكن في غير النظم كما قاله شيخ الاسلام واضافة عدول للدمع والسقم للبيان أو من اضافة الصفة للموصوف واستعمال الجمع في الاثنين كما هنا كثير شائع واعترض هذا الجمع بان العدل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع واجيب بان محل قولهم ان المصدر لا يثنى ولا يجمع اذا اعتبرت مصدريته وهنا قد اعتبر ما نقل اليه وانما ذكر كونهم عدولا للاشارة الى انه لا يمكن المخاطب ردّ شهادتهم

واثبت الوجد خطي عبرة وضني * مثل البهار على خديك والعنم

(قوله واثبت الوجد الخ) أي وبعد ما اثبت الوجد الخ فهو معطوف على شهدت والوجد هو الحزن بسبب الحب وقيل نيران اشواق تنشرها رياح المحبة عند سماع ذكر المحبوب واسناد الاثبات الى الوجد مجاز عقلي من قبيل الاسناد الى السبب كما في قولك سرتني رؤيتك وقوله خطي عبرة بفتح العين كما تقدم أي خطين من الدموع وقوله وضني عطف على خطي عبرة لكن على تقدير مضاف أي واثر ضني وقوله مثل البهار الخ صفة

لكل من خطى العبرة ومن الضنى لكن على اللف والنشر المشوّش لأن
البهار بفتح الباء الموحدة ورد أصفر وأثر الضنى صفرة الوجه فأثر الضنى
مثل البهار فى الصفرة والعنم بفتح العين والنون شجر له اغصان حمر وقيل
ورد أحمر والخطان من العبرة احمران لامتزاج الدمع بالدم فالخطان من
العبرة مثل العنم فى الحمرة وقوله على خديك متعلق باثبت فتقدير البيت
واثبت الوجد على خديك خطى عبرة مثل العنم واثر ضنى مثل البهار
والمعنى وكيف تنكر حبا بعد ما اثبت الوجد على خديك علامتين
ظاهرتين على الحب فكل من رآك يعرف الحب فى وجهك * وفائدة
الابيات الخمسة التى أولها فالعينك أن الرجل اذا اتهم زوجته أو بنته
أو عيلته كتب هذه الابيات فى ورقة من ورق الاترج ووضعها على يد
المتهوم اليسرى وهونائم ويجعل اذنه على فمه فانه ينطق بجميع مافعله
فى غيبته خيراً أوشراً وكذلك اذا اسرق له شئ واتهم احدا أوشك فى أحد
فليكتب هذه الابيات فى جلد ضفدع مدبوغ ويأخذ لسان الضفدع
ويصرّه فى الجلد المذكور ويعلق ذلك الجلد فى عنق المتهوم فانه يقرّ
فى ساعته لدهشته

نعم سرى طيف من اهوى فأرقنى * والحب يعترض اللذات بالالم

(قوله نعم سرى الخ) لما اتضح حال المسئول مما هو عليه من الحب ولم يبق له
سبيل الى الانكار أقر واعترف بذلك حيث قال نعم الخ هكذا قال بعض
الشارحين وعليه فالناظم لم يرجع من التجريد الى التكلم وقال بعضهم لما
انكشف كون المسؤل محبا وكان هو المتكلم فى المعنى رجع من التجريد الى
التكلم واعترف بالحب حيث قال نعم الخ والاول اقرب ونعم حرف ايجاب
لما سبق فكأنه قال صدقت أيها السائل فيما نسبتنى اليه من الحب
وأن سبب خرج الدمع الجارى من المقلة بالدم تذكر المحبوبين كما هو الشق
الاول من السؤال السابق فقال له السائل وماسبب تذكرك لهم فقال
سرى الخ وصلة سرى محذوفة والتقدير سرى الىّ أى سار الىّ ليلا لانّ

السرى هو السير ليلا وقوله طيف من أهوى أى خيال من أحب فالطيف خيال المحبوب وأهوى مضارع هوى بكسر الواو بمعنى أحب بخلاف هوى بفتح الواو فانه بمعنى سقط وسبب ذلك الخيال ان النفس اذا ولعت بشئ حصلت صورته فى القوّة المخيلة فترى خياله فى المنام كثيرا وقوله فأرقنى أى أسهرنى لانه لما تذكر الحب ثارت عليه الحرارة وانتفت عنه الرطوبة فارتفع عنه النوم كما تقدم وقوله والحب يعترض اللذات بالالم أى يدفعها بالالم يقال اعترضه بالسهم اذا دفعه به فالالم هنا بمنزلة السهم واللذات بمنزلة الشخص المرمى ويحتمل ان المراد ان الحب يجعل الالم عرضة فى اللذات فيصير الالم كالخشبة المعترضة فى النهر ويحتمل أيضا ان المعنى ان الحب يغيب اللذات بالالم فانه يقال عرض الشئ اذا غيبه والمراد باللذات ما كان فيه من النوم والتسلى عن المحبوبين وبالالم ما ينشأ عن الحب من شدة الوجد* وحاصل المعنى انه صدقه فيما نسبه اليه من الحب بقوله نعم ثم ذكر له سبب تذكره للمحبوبين بقوله سرى طيف من اهوى وذكر انه أسهره بقوله فأرقنى وذكر انه بعد ان كان فى لذة صار فى ألم ولذلك قال والحب يعترض اللذات بالالم * ولبعضهم فى هذا المعنى

وزارنى طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك سر الحب بى شغفا

وفائدة هذا البيت ان من كرره بعد صلاة العشاء حتى يغلب عليه النوم فانه يرى المصطفى صلى الله عليه وسلم فى منامه ان شاء الله تعالى

يا لائمى فى الهوى العذرى معذرة * منى اليك ولو انصفت لم تلم

(قوله يا لائمى الخ) لما اقر المسؤل بالحب لامه السائل فيه فرجع المسؤل على السائل يوبخه فى لومه عليه فيه فقال يا لائمى الخ وهذا كما ترى مبنى على بقاء التجريد واما على ان الناظم رجع عن التجريد الى التكلم فيكون المصنف قد استشعر لائما عليه لان المحب اذا أقر بالحب لام عليه غيره فوبخه المصنف على لومه عليه وقوله فى الهوى العذرى بالذال المعجمة أى الهوى

المنسوب الى بني عذرة بضم العين وهم قبيلة مشهورة باليمن يؤدي بهم العشق الى الموت لصدقهم في الحب ورقة قلوبهم والمقصود من النسبة التشبيه فالمراد ان هواه مشبه لهوى بني عذرة وقيل الهوى العذري هو الحب الذي من شأنه ان يقبل عذر صاحبه عند كل أحد لكونه مفرطا وقوله معذرة أي اعتذر معذرة او اقدم معذرة فهو بالنصب على انه مفعول لفعل محذوف ويصح قراءته بالرفع على انه مبتدأ خبره قوله مني اليك أي صادرة مني اليك أو على انه خبر مبتدؤه محذوف والتقدير هذه معذرة وتكون الاشارة راجعة لقوله سابقا سرى طيف الخ فالمعذرة على هذا خصوص ذلك بخلافه على ماقبله فانه يحتمل ان تكون هي ذلك وان تكون قوله الآتي لاسرى بمستتر عن الوشاة ولادائي بمنحسم وان تكون معذرة معروفة في الخارج وهي ان يقول المحب للعاذل اني محب والمحب لا يلام سيما من كان حبه عذريا وقوله ولو أنصفت لم تلم أي لان الحب ليس اختياريا حتى يلام عليه بل هو قهري ولا يلام الا على الامر الاختياري كما قال القائل

وعيب الفتى فيما أتى باختياره * ولا عيب فيما كان خلقا مركبا

لكن كون الحب ليس اختياريا بل هو قهري بعد تحكمه والا فمبدؤه اختياري أو لان اللوم على الهوى لا يكون الا ممن ذاقه والمخاطب لم يذقه ولذلك قال بعض الصوفية لا ينبغي للشخص ان يتكلم على حال الا اذا ذاقها والى هذا المعنى اشار ابن الفارض بقوله

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * واذا عشقت فبعد ذلك عنف

وفائدة هذا البيت ومابعده انك اذا رأيت منكرا ولم تقدر على ازالته فاكتبهما في ورقة بزعفران ومسك وماء ورد ويكون تفصيل الورقة دائرة ثم اجعلها بين عينيك تحت العمامة تقوى على ازالته باذن الله تعالى واذا اردت ان تقهر نفسك على اقامة شعائر الدين فواظب على قراءتهما خلف كل صلاة

عدتك حالى لا سرى بمستتر * عن الوشاة ولا دائى بمنحسم

(قوله عدتك حالى الخ) لما أبدى له المعذرة فى الهوى ووبخه فى اللوم عليه فيه فلم يرجع عن اللوم استعطفه بالدعاء له فقال عدتك حالى الخ أى جاوزتك حالى كما يقول الشخص لغيره لا أراك الله حالى وعلى هذا فالجملة دعائية ويحتمل انها استفهامية بتقدير همزة الاستفهام وعليه فالمعنى أجاوزتك حالى فلم تعذرنى ويحتمل أيضا انها خبرية وعليه فالمراد الاخبار بأنه جاوزته حاله ولم يصب بمصيبته حتى يعلم قدر ماهو فيه ولا يلومه ولو اصيب لعلم قدر ماهو فيه ولم يلمه * هذا كله ان فسر عدتك بمعنى جاوزتك كما تقرر فان فسر بمعنى تعدت اليك أى وصلت اليك كما قاله بعض الشارحين كان القصد الدعاء عليه لا له أو الاستفهام عن ذلك بتقدير همزة الاستفهام والمعنى عليه أوصلت اليك حالى حتى تلومنى وقوله لا سرى بمستتر عن الوشاة مستأنف استئنافا بيانيا لانه واقع فى جواب سؤال مقدر فكان اللائم قال له وما حالك التى استعظمتها فاجابه بذلك والسر ما يكتمه الشخص عن غيره والوشاة جمع واش وهو الذى يشى الحديث بين المحب والمحبوب أى يزينه ويزخرفه لاجل الفساد بينهما ومن المعلوم ان الوشاة أعداؤه فاطلاعهم على سره بسيئة وقوله ولا دائى بمنحسم أى ولا دائى الحاصل بسبب الحب بمنقطع بوصل المحبوب ومؤانسته كما هو شأن المحب فانه اذا اشتد عليه الحال وواصله المحبوب وآنسه انقطع داؤه لكن هذا أمر أغلبى والا فهناك من يزيد عليه الحال بوصل المحبوب ومؤانسته

محضتنى النصح لكن لست اسمعه * ان المحب عن العذال فى صمم

(قوله محضتنى النصح الخ) لما لم يفد معه الاستعطاف فلم يرجع عن اللوم اعترف له بانه أخلص له فى النصح من باب التسليم الجدلى ليستريح منه فقال محضتنى النصح الخ أى أخلصت لى النصح عن الاغراض كالالتفات الى المحبوب فاذا كان اللائم له التفات الى المحبوب لم يخلص النصح عن الاغراض بل له فيه غرض وهو اختصاصه بالمحبوب بخلاف ما اذا كان

ليس له التفات الى المحبوب فانه قد اخلص النصح وما هنا من هذا القبيل على التسليم الجدلى وقوله لكن لست اسمعه استدراك على قوله محضتنى النصح والمنفى انما هو سماع القبول والا فقد يسمعه بل قد يتلذذ به وقوله ان المحب الخ تعليل لقوله لكن لست اسمعه فكانه قال انما لم أسمعه لان المحب الخ وفى الحديث حبك للشئ يعمى ويصم أى يعميك عن رؤية عيوبه ويصمك عن سماعها وقوله عن العذال على تقدير مضاف أى عن نصحهم والعذال جمع عاذل وهو اللائم فى الحب وقوله فى صمم لا يخفى ما فيه من المبالغة لانه بالغ فى الصمم حتى كانه محيط بالمحب وجعله ظرفا له والصمم ضعف فى قوة السمع فوق الوقر ودون الطرش ودون الصخ أيضا كما علم بالاولى ولذلك قال الثعالبى يقال فى أذنه وقر فان زاد فهو صمم فان زاد فهو طرش فان زاد حتى لا يسمع الرعد فهو صخ وانما خص المصنف الصمم بالذكر دون غيره وان كان كل من الطرش والصخ اعلى منه لانه هو الذى تستقيم عليه القافية

انى اتهمت نصيح الشيب فى عذل * والشيب أبعد فى نصح عن التهم

(قوله انى اتهمت الخ) لما اعترف له على طريق التسليم الجدلى بانه محضه النصح فلم يرجع عن اللوم اتهمه فى عذله فكان السائل قال له كيف تتهمنى فى العذل فقال له انى اتهمت الخ أى فاذا اتهمت نصيح الشيب فى عذله علىّ فى الهوى والحال ان الشيب أبعد عن التهم فى النصح فكيف بالعاذل الذى ليس أبعد عن التهم فى النصح بل من شأنه ان يتهم فيه والاضافة فى قوله نصيح الشيب للبيان أى نصيحا هو الشيب أو من اضافة الصفة للموصوف أى شيبا ناصحا وانما كان الشيب ناصحا لانه يدل على قرب الاجل وحصول الموت الموجب لترك دواعى الشباب واشتغال العبد بما يقربه لمولاه زلفى وانما دل على ذلك لانه ليس بعد بياض الزرع الا حصاده فهو ناصح بلسان الحال وقد قيل فى قوله تعالى وجاءكم النذير انه الشيب وقوله فى عذل متعلق باتهمت أى اتهمته فى لومه علىّ فى الهوى

ودواعى

ودواعي الشباب وهو بفتح الذال المعجمة لغة في العذل بسكونها وقوله والشيب أبعد في نصح عن التهم أي والحال ان الشيب أبعد عن التهم في النصح فالواو للحال وفائدة هذين البيتين انك اذا احببت شخصا في الحلال وتستحي منه ومن الناس ان تكلمه فاكتبهما في ساعة الزهرة في صحفة من نحاس وامح تلك الصحفة بماء المطر واشربها فانك تقوى على المحبوب وتجتمع به ولا تختشى من أحد أبدا وتفشي اليه سرك وتبلغ منه مقصودك ان شاء الله تعالى

فان امارتي بالسوء ما اتعظت * من جهلها بنذير الشيب والهرم

(قوله فان امارتي الخ) هذا تعليل للبيت قبله فكأنه قال انما اتهمت نصح الشيب في العذل ولم اقبل نصحه لان امارتي الخ واستشكل قوله امارتي بان فيه اتحاد الآمر والمأمور لان نفس الشخص هي هو واجيب بجوابين أحدهما ان النفس باعتبار تعلقها بالمخالفة آمر وباعتبار تعلقها بالصواب مأمور فهما مختلفان بالاعتبار وثانيهما ان الآمر النفس والمأمور البدن فالنفس مستولية بسلطانها على البدن فتصرفه في شهواتها والامارة من أنواع النفس وهي التي تأمر بالمخالفة فلا يلوح لها طمع الا فعلته ولا برزت لها شهوة الا قضتها فلم تسلك سبيل الرشاد ولم تضئ بنور السداد وقد ذكرها الله في قوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء ومنها اللوامة وهي التي ترجع باللوم على صاحبها كثيرا عند الوقوع في المعصية لسابقة القضاء ومنها المطمئنة وهي التي اطمأنت للايمان وللتصديق بوعد الله فهي دائما موفقة للطاعة مصدقة بلقاء الله تعالى وقد ذكرها الله تعالى في قوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية وقوله بالسوء متعلق بأمارتي والسوء القبيح وقوله ما اتعظت خبران أي ماقبلت الوعظ وقوله من جهلها أي من أجل جهلها فهو تعليل لقوله ما اتعظت وانما وبخ نفسه على عدم الاتعاظ بسبب جهلها لانه قادر على دفع الجهل بتحصيل اسباب العلم وقوله بنذير متعلق باتعظت أو بجهلها

ونذيرا اما بمعنى الانذار فيكون مصدرا وعلى هذا فالاضافة فى قوله نذير الشيب والهرم من اضافة المصدر لفاعله أو بمعنى المنذر فيكون اسم فاعل وعلى هذا فالاضافة فى قوله نذير الشيب والهرم من اضافة الصفة للموصوف أو للبيان وكان عليه ان يقول بنذيرى الشيب والهرم الا ان يقال الاضافة للجنس فيصدق النذير بالمتعدد أو انه حذف من الثانى لدلالة الاول والاصل بنذير الشيب ونذير الهرم وهذا البيت والاثنان بعده خاصيتها ان من كانت نفسه غالبة عليه وامتنعت من التوبة وعجز عن مخالفة النفس فليكتب الابيات الثلاثة يوم الجمعة بعد الفراغ من صلاتها ويمحوها بماء الورد ويشربها فاذا شربها استمر جالسا مستقبل القبلة حتى يصلى العصر والمغرب ويذكر الله تعالى ويكرر هذه الابيات فى بعض الاوقات أيضا فانه لا يفارق هذا المجلس الا وقد تأدبت نفسه وحسن حالها ان شاء الله تعالى ويوفقه الله للتوبة

ولا اعدت من الفعل الجميل قرى * ضيف الم برأسى غير محتشم

(قوله ولا اعدت الخ) عطف على قوله ما اتعظت من قبيل عطف الخاص على العام لان الاتعاظ يكون بالاتيان بالاعمال الحسنة والاجتناب عن الاعمال القبيحة وأما اعداد القرى فلا يكون الا بالاول فقط والاعداد التهيئة يقال أعد واستعد بمعنى هيأ وقوله من الفعل الجميل أى من الاعمال الصالحة وهو بيان مقدم لقوله قرى ضيف مشوب بتبعيض وقرى الضيف بكسر القاف اكرامه وفيه استعارة مصرحة مرشحة لانه شبه الشيب بالضيف بجامع الطرو فى كل فان سواد الشعر كان ملازما للانسان فلما تبدل بالشيب كان كالضيف فى طروه على الشخص بعد أن لم يكن واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر القرى ترشيحا للاستعارة ولما كان الشيب نذيرا بانقضاء العمر صار بلسان حاله طالبا للاعمال الصالحة التى هى زاد الآخرة كما يطلب الضيف قراه تصريحا أو تلويحا وقوله الم بتشديد الميم بمعنى نزل وقوله برأسى أى فى رأسى فالباء

بمعنى فى وقوله غير محتشم أى غير مستحيى وهو حال من الضمير الفاعل بألم
وانما كان غير محتشم لان من آداب الضيف ان لا يكثر الاقامة عند من
أضافه فإن اكثرها عنده كان غير محتشم والشيب اذا نزل لا يرتحل
الا بالموت فهو غير محتشم فعلى العاقل ان يستعد بالاعمال الصالحة
لضيافته فان أخر الاستعداد الى نزوله فقد لا يتمكن من شئ من الاعمال
لسرعة الرحيل وضيق الوقت

لو كنت اعلم انى ما أوقره * كتمت سرا بدا لى منه بالكتم

(قوله لو كنت اعلم الخ) لما بين ان نصح الشيب لا ينبغى ان يهمل واعتذر
عن عدم قبوله بالنفس الامارة ورأى من سوء العتاب وتقبيح الفعال من
الناس مالم يكن رآه قال لو كنت اعلم الخ والعلم والمعرفة بمعنى واحد على
الصحيح وقوله انى ما أوقره أى انى ما اعظمه بفعل الجميل وترك القبيح
استحياء منه وقوله كتمت سرا أى اخفيته والمراد بالسر الشيب الذى
ظهر اولا وانما سمى سرا لانه قبل ظهوره يكون خفيا كحديث النفس الذى
لم يظهر وقوله بدا لى أى ظهر لى وقوله منه أى من الشيب وقوله بالكتم
متعلق بكتمت والكتم بفتح التاء نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبقى
لونه كما فى القاموس وقد قيل شيئان عجيبان هما أبرد من يخ شيخ يتصابى
وصبى يتمشيخ ويخ اسم لبئر شديدة البرودة كذا نقل عن بعض الاشياخ
وقال بعض أهل العلم هو اسم لدود يكون فى الثلج الذى هو شديد البرودة
وذلك الدود اشد برودة من الثلج وانما قيد بقوله لى لانه اذا نزل الشيب
بالشخص ظهر له أولا فى الغالب لاهتمامه بشأن نفسه ويحتمل انه من
البيان بعد الاجمال على حد رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى وفى هذا
البيت تنبيه على توقير الشيب وقد سماه الله تعالى وقارا فقد روى ان
أوّل من رأى الشيب ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فقال
ما هذا يا رب فقال الله تعالى وقار يا ابراهيم فقال يا رب زدنى وقارا فاصبح
وقد عمه الشيب وفى الحديث القدسى الشيب نورى

من لي برد جماح من غوايتها * كما يرد جماح الخيل باللجم

(قوله من لي الخ) لما لم تتعظ النفس بواعظ الشيب استفهم على سبيل الاستعطاف عمن يتكفل له برد جماحها بالمواعظ السنية والاسرار الربانية فقال من لي الخ أي من يتكفل لي الخ وقوله برد جماح من غوايتها أي بصرف قوة وغلبة ناشئة من ضلالتها فالجماح بمعنى القوة والغلبة والمراد برده صرفه وغوايتها بفتح الغين المعجمة بمعنى ضلالتها والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للجماح أي جماح ناشئ من غوايتها وقوله كما يرد جماح الخيل باللجم أي ردا مثل رد جماح الخيل باللجم في القوة والعنف حيث لم ينفع واعظ الشيب فالكاف بمعنى مثل وما مصدرية واللجم جمع لجام ككتب جمع كتاب وفي هذا البيت اشارة الى ان السلوك لا يتم الا بشيخ عارف لان النفس ربما تستحسن أمرا فيكون الهلاك فيه فالشيخ العارف كالطبيب الماهر وفائدة هذا البيت والاثنين بعده ان من اكثر تلاوتها عند شروعه في ازالة منكر مفتتحا بتلاوتها عشر مرات فانه يرى الهيبة والقبول بالكمال باذن الله تعالى

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها * ان الطعام يقوي شهوة النهم

(قوله فلا ترم بالمعاصي الخ) لما استفهم عمن يرد جماح نفسه ردا عنيفا استشعر شخصا قال له لا حاجة الى ردها الا انك اذا أعطيتها ما تتمناه من المعاصي انكسرت شهوتها فرد عليه ذلك بقوله فلا ترم بالمعاصي الخ أي لا ترجو ولا تتوقع بتمكينها مما تتمناه من المعاصي دفع شهوتها لانها اذا ألفت المعاصي قويت شهوتها وقد استدل على ذلك بقوله ان الطعام يقوي شهوة النهم أي ان الطعام يزيد في شهوة النهم بتشديد النون وكسر الهاء الذي هو شديد الشهوة الى الطعام فتمكينه منه يزيد في شهوته اليه وكذلك النفس تمكينها من المعاصي يزيد في شهوتها اليها واعترض بان النهم انما تقوى شهوته الى الطعام اذا لم يشبع منه واما اذا شبع منه فقد أخذ حاجته واجيب بان المعدة تنفتح ابدا لما يأتي فيها من الطعام

الا المانع وقوتها الجاذبة لا تزال وان امتلأت لا سيما معدة النهم

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

(قوله والنفس كالطفل الخ) شبه النفس بالطفل في عدم الملل والسآمة بالاستمرار على المألوفات فكما ان الطفل ان تركته على ما ألفه من الرضاع دام على حبه وان منعته عنه امتنع كما ذكره بقوله ان تهمله الخ كذلك النفس ان تركتها على ما ألفته من المعاصي دامت على حبه وان منعتها عنه امتنعت وقوله ان تهمله أي تتركه على ما ألفه من الرضاع وقوله شب على حب الرضاع أي كبر حال كونه مشتملا على حب الرضاع وقوله وان تفطمه ينفطم أي وان تفصله وتمنعه عن الرضاع انفصل وامتنع عنه وصار غير طالب له قال في المصباح فطمت المرأة الرضيع فطما من باب ضرب فصلته عن الرضاع فهي فاطمة والرضيع فطيم والجمع فطم بضمتين مثل بريد وبرد اه وعلم من ذلك ان تفطمه بكسر الطاء واعلم ان النفس لطيفة ربانية وهي الروح قبل تعلقها بالاجساد وقد خلق الله الارواح قبل الاجساد بألفي عام فكانت حينئذ في جوار الحق وقربه فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما أمرها الحق ان تتعلق بالاجساد عرفت الغير فحجبت عن حضرة الحق بسبب بعدها عنه تعالى فلذلك احتاجت الى مذكر قال تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فهي قبل تعلقها بالجسد تسمى روحا وبعد تعلقها به تسمى نفسا فالاختلاف بينهما اعتباري والطفل بكسر الطاء المهملة الصغير ذكرا كان أو انثى

فاصرف هواها وحاذر ان توليه * ان الهوى ما تولى يصم أو يصم

(قوله فاصرف هواها الخ) أي اذا علمت ذلك فاصرف هواها الخ فالفاء فاء الفصيحة وانما لم يقل فاصرف النفس عن هواها كما هو مقتضى الظاهر لانه نظر لكونها تابعة لهواها لا تخالفه ابدا فلا يمكن صرفها عن هواها وانما الممكن صرف هواها بمعنى عدم اتباعه فهي لا تخلو عن هوى ابدا لكن الشخص لا يتبعه وقوله وحاذر ان توليه أي واحذر ان تعطي هواها الولاية

والامارة عليك لانه داع الى الضلالة غير صالح للامارة وانما عبر المصنف بحاذر دون احذر تنبيها على ان النفس تراقب غفلة الشخص لتقع فى هواها فهى تحاذره كما يحاذرها فالمحاذرة من الجانبين وقد علل ذلك بقوله ان الهوى الخ فهو فى قوة قوله لانه جائر ظالم وقوله ماتولى ضبطه شيخ الاسلام بضم التاء والواو وكسر اللام مشددة على انه مبنى للمفعول والشائع على الالسنة قراءته بفتحات على انه مبنى للفاعل وكل صحيح فالمعنى على الاول ما ولاه الشخص وعلى الثانى ما صار واليا وما شرطية وقوله يصم بضم الياء وسكون الصاد من أصميت الصيد اذا رميته فقتلته وقوله أو يصم بفتح الياء وكسر الصاد من وصمه اذا عابه فالمعنى ان الهوى ان ولاه الشخص يقتله أو يعيبه وفى هذا الكلام استعارة بالكناية وتخييل لانه شبه هوى النفس بانسان طالب للولاية والامارة تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو منعه من الولاية والامارة حيث قال فاصرف هواها وحاذر ان توليه ورشحها بذكر انه جائر ظالم لانه ان تولى قتل أو عاب حيث قال ان الهوى ماتولى يصم أو يصم فهى مرشحة لانها قرنت بما يلائم المستعار منه ولما كان الهوى سببا للهلاك أجمع على ذمه العارفون ووردت بذمه الآيات والأحاديث لانه ينتج من الاخلاق قبائحها و يظهر من الافعال فضائحها ويجعل ستر المروءة مهتوكا ومدخل الشر مسلوكا وقال ابن عباس الهوى اله يعبد من دون الله وتلا قوله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الآية وقال الشعبى انما سمى هوى لانه يهوى بصاحبه الى النار وبالجملة فالهوى أصل كل بلية والخلاص منه عسر جدا الا بتوفيق من الله تعالى

وراعها وهى فى الاعمال سائمة * وان هى استحلت المرعى فلا تسم

(قوله وراعها وهى الخ) لما كان ظاهر كلامه ان هوى النفس يصرف حتى عن الطاعة شرح الحال بقوله وراعها وهى الخ أى لاحظها والحال انها فى الاعمال الصالحة سائمة كالبهيمة السائمة فى الكلأ فالواو للحال

وأل فى الاعمال للعهد والمعهود الاعمال الصالحة اعم من ان تكون واجبة أومندوبة وفى سائمة استعارة تصريحية تبعية لانه شبه أخذ النفس فى الاعمال واشتغالها بسوم البهيمة فى الكلا بجامع عدم معرفة الصلاح فى كل واستعار السوم للاخذ والاشتغال واشتق منه سائمة بمعنى آخذة ومشتغلة وانما أمر بملاحظتها وهى مشتغلة بالطاعة لانه قد يكون لها حظ فيها كرياء وحب محمدة وشهرة ولذلك قال وان هى استحلت المرعى فلا تسم بضم التاء وكسر السين أى وان هى وجدت المرعى حلوا فلا تبقها فيه لانها لا تميل الى الطاعة لذاتها بل لغرض فيها فتنقلب الطاعة معصية بل قد تكون أعظم مفسدة من المعصية كما يشير لذلك قول صاحب الحكم * رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا * وفى بعض الآثار أوحى الله الى داود عليه السلام يا داود قل للعاصين المخبتين ابشروا وقل للعابدين المعجبين اخسؤا ومن المعلوم ان اداة الشرط وهى ان هنا من خواص الفعل فقوله وان هى أصله وان استحلت حذف الفعل فانفصل الضمير وقوله استحلت مفسر للفعل المحذوف على حد قوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك وفى قوله فلا تسم استعارة بالكناية وتخييل لانه شبه النفس بالبهيمة بجامع عدم معرفة الصلاح فى كل تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به وذكر المرعى ترشيح ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الاسامة

كم حسنت لذة للمرء قاتلة * من حيث لم يدر ان السم فى الدسم

(قوله كم حسنت الخ) هذا البيت استشهاد على البيت قبله وكم خبرية بمعنى كثيرا ومميزها محذوف والتقدير كم مرة أى كثيرا من المرات وقوله حسنت لذة للمرء قاتلة أى عدت لذة قاتلة حسنة للشخص رجلا كان أو امرأة فلذة مفعول لحسنت وقاتلة صفة لها وهذا الصنيع أولى من جعل لذة تمييز الكم وجعل مفعول حسنت محذوفا وان جرى عليه بعض الشارحين وقد بين وجه كون اللذة قاتلة بقوله من حيث لم يدر ان السم فى الدسم أى

من جهة وتلك الجهة هي كونه لم يعلم ان السم بتثليث أوله مدسوس فى الدسم الذى هو الدهن وخص السم بالذكر لانه قاتل وخص الدسم بالذكر لانه يعلو الاشياء فيستر ما تحته والمراد بالسم هنا حظ النفس والمراد بالدسم هنا الطاعة ففى كلامه استعارتان مصرحتان اما الاولى فلانه شبه حظ النفس بالسم بجامع الضرر فى كل واستعار اسم المشبه به للمشبه وأما الثانية فلانه شبه صورة الطاعة بالدسم بجامع ان كلا ساتر لغيره واستعار اسم المشبه به للمشبه والحاصل ان النفس لها حظ فى الطاعة كما ان لها حظا فى المعصية بل حظها فى الطاعة أشد لان حظها فى المعصية ظاهر جلى وحظها فى الطاعة باطن خفى * وفائدة هذه الابيات الثلاثة التى أولها فاصرف هواها الخ أن من واظب على قراءتها خلف كل صلاة مكتوبة عشرين مرة استقام أمره على الكتاب والسنة وجعله الله آمنا من الاهواء والبدع

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

(قوله واخش الدسائس الخ) أى خف المكائد التى تخفيها النفس فى الجوع والشبع فالدسائس من الجوع كالحدة وسوء الخلق والدسائس من الشبع كالكسل عن العبادة والكلام فى الجوع والشبع المفرطين لان المذموم منهما ليس الا المفرط واما المعتدل الذى بين الافراط والتفريط فممدوح كما يشير لذلك قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا هذا على كون الجوع والشبع على ظاهرهما ويحتمل ان المصنف كنى بالجوع عن قلة العبادة وبالشبع عن كثرتها لان قلة العبادة تؤول الى الجوع فى الآخرة وكثرة العبادة تؤول الى الشبع فى الآخرة فالدسائس من الجوع بمعنى قلة العبادة كالميل الى الراحة وترك العبادة بالكلية والدسائس من الشبع بمعنى كثرة العبادة كحب الشهرة والمحمدة وهو مفسدة عظيمة لانه حينئذ يكون قاصدا بالعبادة غير وجه الله تعالى ولما كان قد يقع فى بادئ الرأى ان الجوع لا دسائس فيه لان العرب والحكماء تمدح بقلة

الاكل

الاكل وتذم بكثرته وحينئذ فلا وجه للتحذير من مكائد الجوع دفع المصنف ذلك بقوله فرب مخمصة شر من التخم فكانه قال لا تستبعد ذلك اذ رب مجاعة مفرطة شر من كثرة الاكل باعتبار الآفات المترتبة عليهما فالعبادة قد لا تحصل بالكلية مع الجوع المفرط وتحصل مع كثرة الاكل وان كان فيها كسل ولا شك ان ترك العبادة بالمرة شر من الكسل فيها هذا على ان المراد بالجوع والشبع حقيقتهما واما على ان المراد بالجوع قلة العبادة وبالشبع كثرتها فكانه قال لا تستبعد ذلك اذ رب عمل قليل شر من عمل كثير فان النفس قد تزين له قليل العبادة كأن تقول له لازم القليل من العبادة وداوم عليه لان الكثير يضر البدن فيؤدي الى العجز بالكلية وربما يكون فيه الرياء وقصدها بذلك الراحة وقد تزين له كثير العبادة كأن تقول له عليك بالكثير من العبادة ليكثر ثوابك وقصدها بذلك ان تحمد عند الناس وتعظم عندهم وهذه مفسدة عظيمة لكن مع الاستكثار من العبادة قد يسلم كثير منها بل قد ينصلح باطنه في آخرة أمره وقد كان بعض المشايخ يقول عليكم باصلاح ظواهركم فانه يوشك ان تنصلح بواطنكم وحكي ان رجلا تعبد سنين ليشتهر بذلك وتودع عنده الامانات فينتفع بها فلم يودع عنده شيء فلما طال عليه الامر وبخ نفسه وتاب الى الله تعالى فلما أصبح أتى بامانة فقال لصاحبها ما كان بيننا وبينها الا ظلام الليل اذهب بسلام ورب هنا للتقليل والمخمصة المجاعة والتخم بضم التاء وفتح الخاء جمع تخمة وهي فساد المعدة بالطعام وقيل فساد الطعام في المعدة وفسرت أيضا بانها ضد المخمصة وهذا قد يقتضيه كلام المصنف وتعقب بان ضد المخمصة الشبع وان لم يحصل تخمة وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما ان من قسا قلبه واستولت عليه نفسه وكررهما ليلة الجمعة عند السحر فانه لا يصبح الا وقد رأى رقة في قلبه وكسرا في نفسه ونهوض اعضائه في العبادة وندم على ما فرط وتاب الله عليه فائدة

واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت * من المحارم والزم حمية الندم

(قوله واستفرغ الدمع الخ) أي افرغ الدمع بالبكاء أو اطلب فراغه بذلك فالسين والتاء اما زائدتان وهو الاظهر أو للطلب وقوله من عين قد امتلأت من المحارم من الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية وامتلاء العين من المحارم كناية عند الفقهاء عن كثرة النظر بها لما لا يجوز شرعا وعند الصوفية وأهل الحب رؤية الاغيار بها ولذلك يقال للعارف أدّب عينيك بدمع الندامة اذا نظرت لغير ذلك الجمال واقصر نظرك على كمال الكبير المتعال ولم يزل السلف الصالح يبكون على ما حصل منهم والبكاء على الخيبة معظم العزم حتى قال بعضهم لو لم يبك الانسان الا على ما ضاع من عمره النفيس من غير طاعة لكفاه وقال سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم طوبى لمن بكى على خطيئته وكان عليه الصلاة والسلام كثير البكاء وقيل في قوله تعالى فيهما عينان تجريان انهما لمن له في الدنيا عينان تجريان وقوله والزم حمية الندم أي والزم حماية الندم لك عن المحارم ويحتمل والزم الندم الحامي لك عن عقاب المحارم والمراد من الندم التوبة المستكملة للشروط الشرعية وانما عبر بالندم لانه العمدة في التوبة ولذلك ورد الندم توبة

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

(قوله وخالف النفس والشيطان الخ) أي اذا أمرتك نفسك والشيطان بشيء أو نهتك نفسك والشيطان عن شيء فخالفهما لانهما عدواك وقوله واعصهما اشار به الى انه لا يكفي مجرد مخالفتهما لانه قد يخالفهما الى ما يرضيان به بل لا بد من عصيانهما وان خصت المخالفة بالمكروه والعصيان بالمحرم كان من عطف المغاير وان أبقيت المخالفة على عمومها وخص العصيان بالمحرم كان من عطف الخاص على العام للاهتمام بذلك الخاص وانما قدم المصنف النفس على الشيطان لانها اضر منه وفتنتها أعظم من فتنته اذ هي عدو في صورة صديق والانسان لا يتنبه لمكايد الصديق وأيضا هي عدو من داخل بخلاف الشيطان فانه عدو ظاهر

وقد قيل الخروج عن النفس هو النعمة العظمى لانها أعظم حجاب بين الشخص وبين الله تعالى وقد سئل بعض الاشياخ عن الاسلام فقال ذبح النفوس بسيف المخالفة وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوى وبالجملة فمخالفة النفس رأس العبادة وأول مراتب السعادة وانظر فعل الشيطان مع أبيك وقد أقسم انه له لمن الناصحين فكيف بك وقد اقسم انه ليغوينك وقوله وان هما محضاك النصح فاتهم أى وان هما أخلصا لك النصح فيما ابدياه لك كأن يقولا لك تمتع بهذه الشهوة لكى تتوجه الى الطاعة فارغ القلب أو يقولا لك ارفق على نفسك فى العبادة لتدوم عليها أو اكثر من العبادة لتفوز بالدرجات العلى أو نحو ذلك فاتهمهما بان تنسبهما الى الخيانة لان مرادهما بذلك الخديعة والمكر وقد تقدم ان اداة الشرط وهى هنا ان من خواص الفعل فقوله وان هما أصله وان محضا حذف الفعل فانفصل الضمير والفعل المذكور تفسير للمحذوف على حد قوله تعالى وان أحد من المشركين استجارك وعبر المصنف بان التى للشك اشارة الى ان اخلاصهما النصح أمر مشكوك فيه بل لا يفرض الا كما يفرض المحال اذ لا يصدر منهما الا الغش ولذا قيل ان الشيطان يفتح للانسان تسعا وتسعين بابا من الخير ليوقعه فى باب من الشر وخاصية هذا البيت والذى بعده ان من واظب عليهما غلب نفسه وشيطانه ورزقه الله الحفظ منهما ان شاء الله تعالى فائدة

ولا تطع منهما خصما ولا حكما * فانت تعرف كيد الخصم والحكم

(قوله ولا تطع منهما الخ) هذا البيت تأكيد للبيت قبله ومعناه انه اذا تخاصم العقل مع النفس وجعلا الشيطان حكما أو تخاصم العقل مع الشيطان وجعلا النفس حكما فلا تطع واحدا من النفس والشيطان لا الخصم ولا الحكم لان كلا منهما يدعو الى الشر وأما العقل فيدعو الى الخير فاذا تخاصم العقل مع أحدهما كان الحكم مع خصم العقل لانه من ناحيته فلا يحكم الا بما هو على مراده وقيل صورة كون أحدهما خصما والآخر

حكمًا ان أحدهما يزين لك الاقدام على المعصية وأنت تمتنع من ذلك لما تعلم من سوء العاقبة فقد صار خصمًا لك ثم بعد الاقدام على المعصية يزين أحدهما لك البقاء عليها وأنت تريد الخروج منها فيضرب لك اجلا بعد أجل كما يفعله الحكام فقد صار حكمًا في ذلك ومما تقرر علم ان الخصم قد يكون النفس والحكم الشيطان وبالعكس ومن في قوله منهما للتبعيض والضمير فيه عائد للنفس والشيطان ولا في قوله ولا حكمًا زائدة لتأكيد النهي وقوله فأنت تعرف كيد الخصم والحكم أي لانك تعرف كيد الخصم والحكم من الناس وكيد النفس والشيطان أشد

أستغفر الله من قول بلا عمل * لقد نسبت به نسلا لذي عقم

(قوله استغفر الله الخ) لما كان المصنف معترفا بانه غير عامل بقوله وقد قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون استغفر من ذلك حيث قال استغفر الله الخ والمقصود من قوله استغفر الله الانشاء وهو يطلب مفعولين ثانيهما مجرور بمن كما هنا ويجوز حذف من نحو استغفر الله ذنبا أي من ذنب وقوله من قول بلا عمل أي من قول مصحوب بعدم العمل أو متلبس بعدم العمل فالباء للملابسة أو المصاحبة ومن للتعدية أو للتعليل وذلك كأن يأمر ولا يأتمر وينهى ولا ينتهي وظاهر كلام المصنف ان الاستغفار من القول المذكور ووجهه بعضهم بان المتبادر من الامر والنهي ان يكون الشخص مؤتمرا بما أمر به منتهيا عما نهى عنه فان لم يكن كذلك في الواقع كان أمره ونهيه رياء ونفاقا فيحتاج للاستغفار منه وبعضهم جعل الاستغفار منصبا على القيد فقط اعني عدم العمل لان القول في ذاته طاعة فلا يحتاج للاستغفار منه وعدم العمل ترك طاعة فيحتاج للاستغفار منه وهذا هو الموافق لمذهب أهل السنة من انه لا يتوقف الامر والنهي على العمل بهما لان عدم الامر والنهي معصية وعدم العمل معصية اخرى وتقليل المعاصي مطلوب ما امكن ولذلك قالوا يجب على مدير الكاس الانكار على الجلاس ويجب على الزاني بامرأة

ان يأمرها بسترو جهها ومن هذا يعلم ان العالم الذى لايعمل بعلمه خير من الجاهل واما قول صاحب الزبد * وعالم بعلمه لم يعملن * معذب من قبل عباد الوثن * فمحمول على علماء أهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا وكتموا الحق وقيل ان تعذيبه من قبل عباد الوثن ليس لكونه اسوأ حالا منهم بل للاسراع بتطهيره وقوله لقد نسبت به نسلا لذى عقم مستأنف استئنافا بيانيا لانه واقع فى جواب سؤال مقدر فكأنه قيل له لم استغفرت من ذلك القول فقال لقد نسبت به نسلا لذى عقم أى لقد نسبت بهذا القول نسلا وهو الذرية لشخص صاحب عقم بضم القاف كما هو لغة فى العقم بسكونها وليس جمع عقيم لان اضافة ذى اليه تمنع من ذلك لا يقال ان المصنف لم يقع منه نسبة نسل لذى عقم فكيف يقول لقد نسبت به نسلا الخ لانا نقول المعنى على التشبيه أى كأنى قد نسبت به نسلا الخ ووجه ذلك أن المتبادر من الامر والنهى ان يكون الآمر والناهى مؤتمرا منتهيا فذلك القول يتضمن نسبة العمل الى القائل فاذا كان بلا عمل فقد اشبه نسبة النسل لذى العقم وهو الذى لا يولد لمثله وذلك كذب يستغفر منه فكذا ما اشبهه وهذا يؤيد ان الاستغفار من القول المذكور وفى ذكر فضل الاستغفار طول يخرجنا عن المقصود وما أحسن قول القائل

ولو ان فرعون لما طغى * وقال على الله افكا وزورا
أناب الى الله مستغفرا * لما وجد الله الا غفورا

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به * وما استقمت فما قولى لك استقم

(قوله أمرتك الخير الخ) هذا البيت بيان للبيت قبله وامر يتعدى لمفعولين ثانيهما بنفسه تارة كما هنا وبالباء تارة اخرى كما فى قولك أمرت زيدا بكذا ومراده بالامر ما يشمل النهى كما فى قولهم أمر السلطان ان لا يؤذى أحد أحدا وأن يجامل فى المعاملة فاندفع ما يقال لم خص الامر بالذكر مع انه سبق منه أمر ونهى والمراد أمرتك بفعل الخير ونهيتك عن تركه والخير ما له عاقبة محمودة وقوله لكن ما ائتمرت به أى لكن ما عملت

به وقوله وما استقمت أى بفعل المأمورات وترك المنهيات لان الاستقامة هى الاعتدال وعدم الاعوجاج وذلك يكون بفعل المأمورات وترك المنهيات وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بها فى سورة هود واخواتها قال تعالى فاستقم كما أمرت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود واخواتها وقيل قال ذلك لما فيها من الاخبار عن اهلاك الامم الماضين وقوله فما قولى لك استقم أى فما ثمرة قولى لك استقم حيث لم أستقم والاستفهام انكارى بمعنى النفى أى لا ثمرة له ولا فائدة له لانه لا ينفع غالبا الا اذا استقام القائل ولذلك قيل فى هذا المعنى

يا أيها الرجل المعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى * كيما يصح به وانت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى * بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

فان قيل لم يتقدم منه أمر بالاستقامة حتى يظهر قوله فما قولى لك استقم اجيب بأنه تقدم ضمنا لانه يعلم من كلامه السابق

ولا تزودت قبل الموت نافلة * ولم أصل سوى فرض ولم أصم

(قوله ولا تزودت قبل الموت الخ) المراد بالتزود هنا العمل وانما عبر بالتزود نظرا لكون الموت سفرا طويلا محتويا على الاهوال والمشاق والسفر المذكور ينا سبه التزود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى والذى عليه المحققون من المفسرين ان المراد بالتزود أخذ الزاد الذى هو ما يوصلهم لمقصودهم والمراد بالتقوى فى هذه الآية ما يتقى به ذل السؤال وقوله نافلة أى مستقلة فاندفع ما يقال ان الفرائض مشتملة على النوافل فلا يتم قوله ولا تزودت قبل الموت نافلة مع كونه كان يفعل الفرائض وقد اشتهر ان النافلة يجبر بها ما نقص من الفرائض لكن نقل القرطبى فى التذكرة عن الشافعى رضى الله تعالى عنه ان ذلك فيما نقص من الفرائض سهوا

واما ما نقص منها عمدا فلا يجبر بالنافلة وان كثرت جدا (قوله ولم أصل سوى فرض ولم أصم) انما خص الصلاة والصوم بالذكر لانهما محض عبادة بدنية وانما سكت عن الايمان لانه لا يتنفل به وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الاول أي ولم أصم سوى فرض لا يقال يبعد أنه لم يقع منه صلاة السنن كالوتر وغيره وصوم السنن كصوم عاشوراء وغيره لانا نقول انما نفى ذلك تنزيلا لما فعله من النوافل منزلة العدم لاتهامه نفسه في الاخلاص فيه وما قيل من انه كان اذا صلى نافلة نذرها أو صام نفلا نذره فهو بعيد وفائدة هذا البيت والذين قبله ان من دخله العجب أو الرياء في علم أو عمل كتبها عند طلوع الفجر وكررها احدى وسبعين مرة ثم علق ذلك المكتتب على عضده الايسر مائلا لجهة جنبه فانه يتواضع حينئذ ويصير آمنا من العجب والرياء

فائدة

ظلمت سنة من أحيي الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

(قوله ظلمت سنة من الخ) هذا تخلص للشروع في المقصود وهو مدحه صلى الله عليه وسلم ولم يشرع فيه الا بعد الوعظ والاستغفار والندم تأهيلا لمدح هذا الجناب الشريف ولما أخبر عن نفسه بما أخبر من كثرة التفريط واخبر بأنه لم يتزود من النافلة حكم بأنه ظلم سنة سيد المرسلين أي جار فيها ووضعها في غير موضعها لان الظلم هو الجور ووضع الشئ في غير محله والسنة لغة الطريقة وشرعا الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب ومن واقعة على نبي وهو نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله أحيي الظلام) أي أنار الليل المظلم بالصلاة فالمراد بالظلام المظلم والمراد باحيائه انارته بالصلاة اذ العبادة كما تؤثر النور في وجه العابد تؤثره في زمنها ولا يخفى ان في كلامه استعارة تصريحية تبعية أو استعارة مكنية فيكون قد شبه الانارة بالاحياء بجامع النفع في كل واستعار الاحياء للانارة واشتق من الاحياء بمعنى الانارة أحيي بمعنى أنار أو شبه الظلام بمعنى الليل المظلم بميت يحيي تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز

اليه بشيء من لوازمه وهو الاحياء وقوله الى ان اشتكت قدماه الضر من ورم أي واستمر احياؤه صلى الله عليه وسلم للظلام الى ذلك فهو غاية في الاحياء لكن لا مفهوم لهذه الغاية واشتكاء القدمين كناية عن شدة الألم الحاصل لهما من كثرة القيام على وجه المبالغة والورم ازدياد الجسم على غير اقتضاء طبيعي وسبب ورم القدمين من كثرة القيام انصباب المواد التي في اعالي الجسم اليهما لطول القيام فانه صلى الله عليه وسلم وان لم يكن يزيد بالليل على اثني عشر ركعة لكن كان يطيل القيام فيها وقد روى المغيرة انه قام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وفي رواية انه قال جبريل أبق على نفسك فان لها عليك حقا فانزل الله سبحانه وتعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وفي هذا البيت مزيد التقريع لنفسه فكأنه يقول لها ما بالك في هذا التقصير وعدم الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كثرة عبادته وغلبة طاعته ولهذا اختار هذه الصفة من بين الصفات وخاصية هذا البيت والاربعة بعده ان من ثقل عليه قيام الليل وغلب عليه النوم والكسل ولا زالت نفسه تمتد لراحة الدنيا فليكتب هذه الابيات في لوح ويجعله عند رأسه فيتزين له حينئذ العمل الصالح وتحدثه نفسه بأمور الآخرة

وشد من سغب احشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

(قوله وشد من سغب الخ) عطف على احيي الظلام الخ فهو عطف على الصلة فيكون صلة وانما أتى بذلك نظرا لقوله في البيت السابق ولم اصم عقب قوله ولم أصل سوى فرض وبهذا ظهر حكمة تخصيصهما فيما تقدم والشد العصب والربط والسغب بسين مهملة وغين معجمة الجوع ومن الداخلة عليه للتعليل أي عصب وربط من أجل جوع وقوله احشاءه مفعول لشد والاحشاء جمع حشا وهو كما في الصحاح ما انضمت عليه الضلوع وقيل القلب وقيل الامعاء وفائدة هذا الشد انضمام الاحشاء

على المعدة فتجمد الحرارة بعض خمود لان المعدة اذا امتلأت بالطعام اشتغلت الحرارة بهضمه واذا اخلت عن الطعام طلبت الحرارة رطوبة الجسم فيتألم الانسان فبالشد تضعف تلك الحرارة وقد روى الشد مسلم عن انس قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته جالسا مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه بعصابة فقالوا من الجوع وقوله وطوى تحت الحجارة كشحا مترف الادم عطف أيضا على الصلة والطى اللف والكشح الخاصرة والمترف الناعم من الترف وهو النعومة المفرطة والأدم الجلد أى ولف تحت الحجارة خاصرة ناعمة الجلد نعومة مفرطة وفائدة هذا الطى ان برودة الحجر تخفف حرارة الباطن وقد روى البخارى الطى عن جابر قال مكث صلى الله عليه وسلم لم يذق الطعام ثلاثا وهم يحفرون الخندق فقالوا يا رسول الله ان ها هنا كدية من الجبل قد عجزت معاولنا عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء فرشوها به ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول ثم قال بسم الله فضرب ثلاثا فصارت كثيبا قال جابر فحانت منى التفاتة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا واستشكل ماذكر من الشد والطى بقوله صلى الله عليه وسلم ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى لان من هذا حاله لا يعصب احشاءه ويطوى كشحه تحت الحجارة من الجوع واجيب بان معنى الحديث ابيت مستحضرا جلال ربى فيعطينى قوة الطاعم والشارب والمراد بذلك انه ضمن له قوة بدنه ونضارة جسمه حتى ان من رآه لا يظن به جوعا ولا عطشا كما اشار الى ذلك الناظم بقوله مترف الادم فهو من قبيل الاحتراس وحينئذ فحصول الجوع له صلى الله عليه وسلم لا ينافيه الاطعام فى الحديث

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيما شمم

(قوله وراودته الجبال الخ) لما كان قد يتوهم من قوله وشد من سغب الخ انه صلى الله عليه وسلم كان فقيرا من المال دفع ذلك التوهم بقوله وراودته

الجبال الخ والمراودة المطالبة يقال راوده أى طلب منه ان يكون على مراده واسناد المراودة للجبال مجاز لان الله هو الذى خيره فى ذلك ويحتمل ان يكون حقيقة اذ لا مانع من ان يخلق الله فيها ادراكا وتراوده حقيقة وأل فى الجبال للعهد الذهنى والمعهود ذهنا هو جبال مكة كما تدل عليه الاحاديث الصحيحة فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال عرض علىّ ربى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاذا شبعت حمدتك واذا جعت تضرعت اليك ودعوتك وروى ان جبريل عليه السلام نزل عليه صلى الله عليه وسلم فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان تكون لك هذه الجبال ذهبا وفضة تكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله بالقول الثابت وقوله الشم أى المرتفعة وهى جمع أشم مشتق من الشمم وهو الارتفاع وقوله من ذهب أى أن تكون من ذهب فهو خبر لتكون المحذوفة وليس حالا خلافا لبعضهم لانها لم تكن من ذهب حين المراودة وانما طلبت منه ان تكون كذلك وقوله عن نفسه أى من أجل نفسه فعن للتعليل وقوله فأراها ايما شمم أى فأراها شمما أيما شمم أى شمما عظيما أى اعراضا شديدا اعلاما منه بان ما عند الله خير وأبقى

وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم

(قوله وأكدت زهده فيها الخ) التأكيد التقوية والزهد ترك الشئ وقلة الرغبة فيه والضمير المجرور بفى راجع للجبال التى تكون من ذهب وبعضهم جعله راجعا للدنيا والاول أولى لعدم تقدم ذكر الدنيا وان كانت معلومة من المقام والضرورة شدة الحاجة ولا يخفى ان زهده مفعول مقدم وضرورته فاعل مؤخر وانما أكدت ضرورته زهده فيها لان الاعراض عن الشئ وقلة الرغبة فيه مع شدة الاحتياج اليه دليل جلى وبرهان قطعى على الزهد فى ذلك الشئ وقوله ان الضرورة الخ مستأنف استئنافا بيانيا

لكونه

عليه جبال مكة لبا

لكونه واقعا فى جواب سؤال مقدر فكانه قيل له كيف تؤكد ضرورته
زهده فيهما مع ان الضرورة تقتضى الاقبال عليها وعدم الاعراض عنها
فقال ان الضرورة الخ وقوله لا تعدو على العصم أى لا تتعدى عليها يقال
عدى عليه أى تعدى عليه وفى كلامه حذف مضاف أى على ذوى العصم
وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام هذا ان قرئ العصم بكسر العين وفتح
الصاد كما هو المشهور على انه جمع عصمة فان قرئ العصم بفتح العين وكسر
الصاد كما استصوبه ابن مرزوق على ان أصله عصيم بمعنى معصوم حذفت
ياؤه للضرورة فلا حذف فى كلامه وعلم من ذلك الفرق بين ضرورة من
عصمه الله تعالى وضرورة غيره لان ضرورة من عصمه الله تعالى لا تدعوه الى
أحسن الاشياء فضلا عن اخسها وضرورة غيره تدعوه الى أخس الاشياء
حتى انها تبيح له تناول ما لا ينبغى تناوله ولو كان محرم الاصل كالميتة
وفى كلام المصنف اشارة الى جواز وصفه صلى الله عليه وسلم بالزهد وهو
الحق خلافا لمن منعه معللا بان الزهد فى الشئ فرع عن التعلق به لكن قد
عيب على هذا البيت والذى بعده فى اثبات الضرورة له صلى الله عليه
وسلم مع انه لم يثبت له عليه الصلاة والسلام أصل الحاجة فضلا عن
الضرورة وما أحسن قوله فى الهمزية

مستقل دنياك ان ينسب الامساك منها اليه والاعطاء

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

(قوله وكيف تدعو الخ) استفهام انكارى بمعنى النفى أى لا تدعو الخ والدعاء
الطلب والميل وقوله الى الدنيا متعلق بتدعو والدنيا صفة فى الاصل ثم
نقلت الى الاسمية فجعلت اسما لهذه الدار التى نحن فيها وقد تطلق على
اعراضها وزخارفها من المال والجاه وما اشبههما وهذا هو المراد هنا
وقوله ضرورة من أى ضرورة نبى أو رسول فمن واقعة على نبى أو رسول
وقد تقدم الكلام على الضرورة وقوله لولاه لم تخرج الدنيا من العدم بيناء
الفعل وهو تخرج للمفعول أو للفاعل وان اقتصر بعضهم على الاول أى لولا

وجوده صلى الله عليه وسلم لاستمرت الدنيا على عدمها ولم توجد فوجوده صلى الله عليه وسلم علة فى وجودها فلو كانت ضرورته تدعوا الى الدنيا لكان وجوده معلولا لوجودها وهو خلاف والاصل فى ذلك ما رواه الحاكم والبيهقى من قول الله تعالى لآدم لما سأله بحق محمد أن يغفر له ما اقترفه من صورة الخطيئة وكان رأى على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله سألتنى بحقه ان اغفر لك وقد غفرت لك ولولاه ما خلقتك فوجود آدم عليه السلام متوقف على وجوده صلى الله عليه وسلم وآدم أبو البشر وقد خلق الله لهم ما فى الارض وسخر لهم الشمس والقمر والليل والنهار وغير ذلك كما هو نص القرآن قال تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واذا كانت هذه الامور انما خلقت لاجل البشر وأبو البشر انما خلق لاجله صلى الله عليه وسلم كانت الدنيا انما خلقت لاجله فيكون صلى الله عليه وسلم هو السبب فى وجود كل شئ

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

(قوله محمد الخ) أى الممدوح محمد الخ فهو خبر مبتدا محذوف على قراءته بالرفع ويصح فيه النصب على انه مفعول لفعل محذوف أى امدح محمدا ويجوز الجر على انه بدل من الموصول الذى فى قوله وكيف تدعوا الى الدنيا ضرورة من الخ وقوله سيد الكونين أى اشرف أهل الكونين فهو على تقدير مضاف والمراد بالكونين الدنيا والآخرة وقوله والثقلين أى الانس والجن وانما سميا ثقلين لاثقالهم الارض أو لثقلهما بالذنوب والعطف فى ذلك من عطف الخاص على العام وكذلك العطف فى قوله والفريقين ونكتته التصريح به فى مقام المدح ونصف البيت الباء من الثقلين فزيادة بعض الناس لفظ خير قبل الفريقين خطأ وقوله من عرب ومن عجم بيان للفريقين والعرب بضم العين وسكون الراء لغة فى العرب بفتحهما والمراد بالعجم جميع غير العرب

نبينا الآمر الناهي فلا أحد * أبر في قول لا منه ولا نعم

(قوله نبينا الخ) يجري في قوله نبينا أوجه الاعراب الثلاثة كما تقدم في محمد والاضافة في نبينا التشريف المضاف اليه وقوله الآمر الناهي أي عن الله تعالى وهذا يستلزم كونه رسولا فهو في قوة ان يقول الرسول وقوله فلا أحد أبر منه في قول لا ولا نعم أي اذا أمر ونهى فلا أحد أصدق منه في الامر والنهي وقد عبر عن النهي بقول لا وعن الامر بقول نعم ويحتمل انه كنى بلا عن الخبر المنفي وبنعم عن الخبر المثبت اما مطلقا أو عن الثواب والعقاب وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم اصدق الناس في الخبر ولا في قوله ولا نعم زائدة لتأكيد النفي وما ورد من انه لم يقل لا قط محمول على انه لم يقل لا في شيء سئل عنه من حوائج الدنيا بل ان كان عنده شيء أعطاه للسائل وان لم يكن عنده شيء سكت أو وعده وبالغ بعضهم حتى قال

ماقال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد كانت لاؤه نعما

وهذا باعتبار الغالب والا ففي صحيح البخاري ان الاشعريين جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه ان يحملهم فقال والله لا احملكم الى آخر الحديث وهذا البيت والذي بعده خاصيتهما التخاص من الوقوع في الشدائد فمن واظب على قراءتهما خلص من الوقوع في الشدائد ومن وقع في شدة فيل قراءتهما وكرر قراءتهما في جوف الليل وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم رفعت عنه تلك الشدة فائدة

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته * لكل هول من الاهوال مقتحم

(قوله هو الحبيب الخ) الضمير راجع لمحمد أو لنبينا والحبيب اما بمعنى محب فيكون اسم فاعل أو بمعنى محبوب فيكون اسم مفعول وعلى كل فالمراد هو الحبيب لله أو لامته لانه أعظم محب لله وأفضل محبوب له وهو أيضا محب لامته ومحبوب لها اذ من شرط كمال الايمان ان يكون أحب من المال والولد والنفس فقد قال عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنت أحب الي من مالي وولدي والناس أجمعين

دون نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام لا يكمل ايمانك حتى اكون
أحب اليك من نفسك التي بين جنبيك فقال عمر رضي الله عنه أنت
أحب الي من نفسي فقال له عليه الصلاة والسلام قد كمل اذا ايمانك
وهذا ترق لسيدنا عمر في الحال ببركته صلى الله عليه وسلم أو ان ذلك كان
كامنا في نفسه غير انه لحدته لم يتنبه لذلك الا بعد أن نبهه صلى الله عليه
وسلم وهذا هو اللائق بالادب لكنه بعيد جدا وقوله الذي ترجى شفاعته
لكل هول من الاهوال مقتحم أي الذي تتوقع شفاعته وهي طلب الخير
للغير عند كل هول فاللام بمعنى عند والهول هو الامر المخوف حال كون
ذلك الهول بعض الاهوال المفزعة موصوف ذلك الهول بانه مقتحم فيه أي
واقع فيه الناس فهو من باب الحذف والايصال فحذف الجار واتصل
الضمير والاقتحام هو الوقوع في الشيء كرها يقال اقتحم زيد الامر اذا وقع
فيه كرها وانما عبر بالرجاء مع ان شفاعته صلى الله عليه وسلم مقطوع بها
اشارة الى انه لا ينبغي للشخص ان ينهمك في المعاصي ويتكل على
الشفاعة وله صلى الله عليه وسلم شفاعات منها شفاعته في فصل القضاء
حين يتمنى الناس الانصراف من المحشر ولو للنار لشدة الهول وهذه هي
الشفاعة العظمى وتسمى المقام المحمود لانه يحمده عليها الاولون والآخرون
وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم في
دخول جماعة الجنة بغير حساب بل يقومون من قبورهم لقصورهم
وهذه مختصة به صلى الله عليه وسلم أيضا ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم
في جماعة استحقوا النار ان لا يدخلوها بل يدخلون الجنة وكذلك هذه
مختصة به صلى الله عليه وسلم ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم في جماعة
دخلوا النار ان يخرجوا منها وهذه غير مختصة به صلى الله عليه وسلم بل
تكون لغيره أيضا من العلماء والاولياء ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم
في رفع درجات اناس في الجنة وهذه لم يثبت اختصاصها به صلى الله عليه
وسلم لكن جوزه النووي ومنها شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف

العذاب

ايمانه الى حا

العذاب عن بعض الكافرين كعمه أبي طالب على القول بان الله لم يحيه فآمن به صلى الله عليه وسلم وهو المشهور والذى يحب أهل البيت يقول بأن الله احياه وآمن به صلى الله عليه وسلم والله قادر على كل شئ ولا ينافى شفاعته صلى الله عليه وسلم فى تخفيف العذاب عن بعض الكافرين قوله تعالى لا يخفف عنهم لان المنفى انما هو تخفيف عذاب الكفر فلا ينافى انه يخفف عنهم عذاب غير الكفر على أحد الاجوبة فى ذلك

دعا الى الله فالمستمسكون به * مستمسكون بحبل غير منفصم

(قوله دعا الى الله الخ) أى دعا الى دين الله كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك وهو الاسلام ففى كلام المصنف حذف مضاف والمفعول محذوف أى عباده وهو شامل للملائكة فقد دعاهم صلى الله عليه وسلم تشريفا لهم وتعريفا لما لم يكونوا يعرفونه لانهم اذا عرفوا من آدم عليه السلام مالم يكونوا يعرفونه فليعرفوا منه صلى الله عليه وسلم مالم يكونوا يعرفونه بالطريق الاولى وقوله فالمستمسكون به مستمسكون بحبل غير منفصم أى كما قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والمراد من الحبل السبب كما هو أحد اطلاقيه والفصم بالفاء القطع من غير ابانة بخلاف القصم بالقاف فانه القطع مع الابانة ونفى الاضعف يستلزم نفى الاقوى فكونه غير منفصم يستلزم كونه غير منقصم وانما لم يقل فالمجيبون له الخ وان كان هو المناسب للدعاء تنبيها على ان مجرد الاجابة بالقول ونحوه لا يكفى فى النجاة من المهالك بل لا بد من الاستمساك به صلى الله عليه وسلم كما يفعل من يصعد من مهوى فى تعلقه بالحبل والتزامه به وان قصر فى الاستمساك ولو لحظة هوى وفائدة هذا البيت حفظ الايمان والامان من سلبه بان يقال بعد كل صلاة عشر مرات مفتتحة بالصلاة والسلام على النبى بصيغة مخصوصة وهى اللهم صل وسلم على نبيك البشير الداعى اليك باذنك السراج المنير

فائدة

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

(قوله فاق النبيين الخ) أى زاد صلى الله عليه وسلم على النبيين وكذا على غيرهم بالطريق الاولى فى خلق بفتح الخاء وسكون اللام وهو الصورة والشكل وفى خلق بضمهما وهو ماطبع عليه الانسان من الخصال الحميدة كالعلم والحياء والجود والشفقة والحلم والعدل والعفة وامثال ذلك فقد اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم ماتفرق فى غيره من تلك الخصال وقد ذكر بعضهم ان من تمام الايمان ان يعتقد الانسان انه لم يجتمع فى احد من المحاسن الظاهرة والباطنة مثل مااجتمع فيه صلى الله عليه وسلم واعترض على الناظم بان مقتضى كلامه انه صلى الله عليه وسلم فاق النبيين فى بعض الخلق بفتح الخاء وسكون اللام وبعض الخلق بضمهما لان كلا منهما نكرة وهى فى سياق الاثبات لاتعم وهذا ليس بمدح تام لانه يحتمل بعد ذلك ان يساويهم فى البعض الآخر ويحتمل ان يفوقوه فيه وعلى هذا فان كان مافاقوه فيه مثل مافاقهم فيه حصلت المعادلة وان كان اكثر انعكس ماقصده المصنف من المدح واجيب بان المراد فى خلقهم وفى خلقهم فهما مضافان فى المعنى فيعمان على ان النكرة فى سياق الاثبات قد تعم ولما لم يلزم من كونه فاقهم فى ذلك نفى مقاربتهم له نفاها بقوله ولم يدانوه أى لم يقاربوه وقوله فى علم ولا كرم أى ولا غيرهما وانما اقتصر المصنف عليهما لان العلم رأس الفضائل والكرم رأس الفواضل ولا يرد على ذلك ماورد من النهى عن التفضيل بين الانبياء كقوله صلى الله عليه وسلم لاتفضلوا بين الانبياء لانه محمول على تفضيل يؤدى الى تنقيص وليس فى ذلك تنقيص لاحد من النبيين لانا نعتقد انهم متصفون بالكمال والنبى اكمل قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال ابن عباس المراد بالبعض الاول محمد صلى الله عليه وسلم

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر او رشفا من الديم

(قوله وكلهم من رسول الله الخ) هذا البيت كالدليل للبيت قبله والجار والمجرور متعلق بقوله ملتمس والاضافة فى رسول الله للعهد والمعهود هو

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من قوله ملتمس آخذ وان كان الالتماس معناه فى الاصل الطلب وقوله غرفا من البحر اورشفا من الديم أى حال كون بعض الملتمسين مغترفا من البحر وبعضهم مرتشفا من الديم فهو اشارة الى اختلاف أحوال الملتمسين فأولو العزم مثلا اكثر التماسا من غيرهم فأو فى ذلك للتنويع والتقسيم والغرف مصدر غرف بمعنى أخذ والبحر ضد البر سمى بذلك لعمقه واتساعه والرشف المص والديم جمع ديمة وهى المطر الدائم يوما وليلة من غير رعد والمراد من البحر والديم هنا علمه وحلمه صلى الله عليه وسلم فكل منهما استعارة تصريحية وكل من الغرف والرشف ترشيح وانما عبر فى جانب البحر بالغرف وفى جانب الديم بالرشف لان الغرف مناسب للبحر لكثرته دون الديم لانها تجرى على وجه الارض فلا يجتمع منها ماء غالبا حتى يغترف

وواقفون لديه عند حدهم * من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

(قوله وواقفون الخ) عطف على قوله ملتمس لكن نظر فى احدهما للفظ كل وفى الآخر لمعناه ومعنى كونهم واقفين لديه عند حدهم انهم ثابتون عنده صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند الحد الذى حد لهم من ذلك فلا يتجاوزونه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يزل يترقى بعد ذلك فنهاية مراتبهم فى العلم والحكم مبدأ ما أوتيه صلى الله عليه وسلم منهما فوقوفهم لديه صلى الله عليه وسلم وقوف ذى الغاية عند مبدا غيره وقوله من نقطة العلم أو من شكلة الحكم بيان لحدهم والمعنى على التشبيه والاضافة فى الموضعين على معنى من أى الذى هو كنقطة من العلم أو كشكلة من الحكم والمراد من العلم والحكم علم الرسول وحكمه كما قاله بعض الشارحين وقيل المراد بهما علم الله وحكمه وحاصل المعنى على الاول انهم ثابتون لديه صلى الله عليه وسلم فى العلم والحكم عند حدهم الذى هو كالنقطة من علم الرسول أو كالشكلة من حكمه صلى الله عليه وسلم وحاصل المعنى على الثانى انهم ثابتون لديه فى العلم والحكم عند حدهم الذى هو كالنقطة

من علم الله أو كالشكلة من حكمه تعالى فعلمهم بالنسبة لعلمه صلى الله عليه وسلم كنقطة من علم الله و حكمهم بالنسبة لحكمه صلى الله عليه وسلم كشكلة من حكمه تعالى وهذا ابلغ فى مدحه صلى الله عليه وسلم من الاول لكن الاقرب الاول وعلى كل فأو للتنويع والتقسيم وانما خص النقطة بالعلم والشكلة بالحكم لان النقطة تميز الحروف المشتبهة الصور والعلم خاصته التمييز لانه صفة تقتضى تمييزا لا يحتمل النقيض بوجه والشكلة بها يضاف الحكم لصاحبه مع زوال اللبس والاختلال والحكمة فائدتها وضع الشئ فى المكان الذى يستحقه على اكمل وجه لئلا يختل النظام

فهو الذى تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

(قوله فهو الذى تم الخ) مفرع على قوله فاق النبيين الخ لكن على اللف والنشر المشوش لان معناه يرجع للخلق بضمتين وصورته ترجع للخلق بفتح الخاء وسكون اللام فان المراد من معناه كمالاته الباطنية كما هو المراد من الخلق بضمتين والمراد بصورته صفاته الظاهرية كما هو المراد بالخلق بفتح الخاء وسكون اللام وقوله ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم أى ثم اختاره حبيبا خالق الخلق والنسم بفتح النون المشددة جمع نسمة بفتحات وهى الانسان وانما خص الوصف المذكور من بين أوصافه تعالى تنبيها على انه تعالى خلقه على تلك الصورة ووفقه لتلك الاخلاق الحميدة ومن ذلك يعلم ان ثم ليست للترتيب فى الصفات كما قاله بعضهم بل للترتيب فى الذكر والاخبار ويمكن حمل كلام بعضهم على ذلك بان يجعل على تقدير مضاف والاصل للترتيب فى ذكر الصفات

منزه عن شريك فى محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

(قوله منزه الخ) أى وهو منزه الخ وقوله عن شريك أى عن كل شريك لانه نكرة فى سياق النفى معنى فان المعنى لا يوجد له شريك والنكرة فى سياق النفى ولو معنى تعم وقوله فى محاسنه أى صورة ومعنى وقد تنازعه كل من

منزه وشريك والمحاسن جمع محسن على القياس وقيل جمع حسن على غير قياس واعترض على المصنف بان النبيين مشاركون له صلى الله عليه وسلم في المحاسن كالنبوة والرسالة فكيف يقول منزه عن شريك في محاسنه واجيب بان ماعندهم من المحاسن مثل النقطة أو الشكلة كما يدل عليه ماذكره سابقا في العلم والحكم وحينئذ فلا مشاركة وقوله فجوهر الحسن الخ مفرع على قوله منزه عن شريك الخ والمراد من جوهر الحسن ذاته وحقيقته وقوله فيه أي الكائن فيه وقوله غير منقسم أي بينه وبين غيره لاختصاصه به بخلاف يوسف فانه اعطى شطر الحسن وانما لم يفتتن به صلى الله عليه وسلم كما افتتن بيوسف عليه السلام لان جماله صلى الله عليه وسلم ستر بجلاله فلم يمكن أحداً أن يتأمل فيه حتى يفتتن به

دع ماادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(قوله دع ماادعته النصارى الخ) هذا البيت احتراس عما يوهمه قوله منزه عن شريك في محاسنه من شموله لصفات الاله فدفع ذلك بهذا البيت وفيه اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله والمراد بما ادعته النصارى في نبيهم قولهم بانه اله لانهم يقولون بان الله اله وعيسى اله ومريم اله وبعض فرقهم يقول بانه ابن الله كما قال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله والنصارى هم قوم عيسى وسموا بذلك لانهم نصروه والاضافة في نبيهم للرد عليهم في دعواهم الالوهية له مع انهم يسلمون أنه نبيهم والنبي ليس الها فلا تنافي الاضافة ان سيدنا محمدا نبيهم أيضا خلافا لما قد يتوهم من ظاهر الاضافة من انه صلى الله عليه وسلم ليس نبيا لهم وقوله واحكم بما شئت مدحا فيه أي احكم بما شئت مما يدل على شرفه وعلو شأنه وعظم جاهه من جهة المدح فيه صلى الله عليه وسلم ذاتا وصفات أخذا من قوله وانسب الخ وقوله واحتكم أي راع الحكمة في مدحك له صلى الله عليه وسلم بان تأتي بالمدح اللائق بجنابه الشريف وقدره المنيف دون غير

اللائق بذلك الجناب فليس قوله واحتكم حشوا كما قيل لانه افاد انه وان جاز لك مدحه صلى الله عليه وسلم بما شئت غير ما ادعته النصارى فى نبيهم يتعين عليك مراعاة الحكمة فى مدحه صلى الله عليه وسلم ومن هذا يعلم ان ما يقع من التغزل بابيات مشتملة على صفات الاحداث لا يجوز حمله على النبى صلى الله عليه وسلم لان ذلك اساءة ادب لكونه لا يليق بالجناب الشريف ولذلك لم يقع مثل هذا من أحد من مداحه صلى الله عليه وسلم كحسان والمصنف وابن رواحة

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف * وانسب الى قدره ما شئت من عظم

(قوله وانسب الى ذاته الخ) هذا البيت تفصيل لما اجمله فى قوله واحكم بما شئت مدحا الخ ويؤيد ذلك ما فى بعض النسخ من التعبير بالفاء بدل الواو وبعض الشارحين حمل قوله واحكم بما شئت الخ على ان المراد انك تحكم بصحة ما شئت مما سمعته من جهة المدح الكائن من غيرك وحمل قوله وانسب الى ذاته الخ على ان المراد انك تباشر المدح وتنشئه والاول اقرب كما لا يخفى وقوله ما شئت من شرف أى الذى شئته من صفات الشرف كتناسب الاعضاء والبياض المشرب بحمرة ونظافة الجسم وطيب العرق وفصاحة اللسان وبلاغة القول ووفور العقل وذكاء اللب وغير ذلك وقوله وانسب الى قدره ما شئت من عظم أى وانسب الى كماله الذى شئته من صفات العظم كالكرم والعفو والصفح والحلم والعلم وامثال ذلك ومن فى الموضعين لبيان الجنس وخص الذات بالشرف لمناسبته لها فى العلو وخص القدر بالعظم لمناسبته له فى عدم النهاية

فان فضل رسول الله ليس له * حد فيعرب عنه ناطق بفم

(قوله فان فضل رسول الله الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال لان فضل رسول الله الخ وقوله ليس له حد اى ليس له غاية ومنتهى لانه صلى الله عليه وسلم لم يزل يترقى فى الكمال كل لحظة قال سيدى على وفا ويشير لهذا قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى لان معناه الاشارى

وللحظة المتأخرة خير لك من اللحظة المتقدمة لانه صلى الله عليه وسلم يترقى في المتأخرة الى كمالات زائدة عما ترقى اليه في المتقدمة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فأستغفر الله أي انه لتراكم الانوار على قلبي فأستغفر الله مما قبل ذلك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابي الحسن الشاذلي لما رآه في النوم وسأله عن معنى هذا الحديث انه غين انوار لا غين اغيار يا مبارك وقوله فيعرب عنه ناطق بفم أي فيفصح عن فضله صلى الله عليه وسلم متكلم باللسان فمعنى يعرب يفصح وهو بالنصب في جواب النفي والضمير راجع لفضل رسول الله ومعنى ناطق متكلم والمراد من الفم اللسان وعبر عنه بالفم لانه محله فهو مجاز مرسل من باب اطلاق اسم المحل على الحال فيه وقوله بفم بعد ناطق للتأكيد على حد قولك سمعت باذني ونظرت بعيني أو للاشارة الى التعميم في الناطق فيشمل العربي والعجمي كما قيل به في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فان كلا من قوله في الارض بعد دابة وقوله يطير بجناحيه بعد طائر للتعميم فيهما

الغير،

لو ناسبت قدره آياته عظما * احيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

(قوله لو ناسبت الخ) كأن المصنف ادعى ان آياته لم تناسب قدره في العظم وذكر هذا البيت استدلالا على ذلك فانه اشارة الى قياس استثنائي نظمه هكذا لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته ان يحيي اسمه دارس الرمم حين يدعى به لكن لم يكن من آياته ان يحيي اسمه دارس الرمم حين يدعى به فلم تناسب آياته قدره في العظم وهو المطلوب لان الواقع أن قدره صلى الله عليه وسلم أعظم من آياته حتى من القرآن المتلو بخلاف القرآن غير المتلو وهو المعنى القائم بذاته تعالى فانه أعظم منه لان القديم أفضل من الحادث وما شاع على الالسنة من ان كل حرف من القرآن أفضل من محمد وآل محمد فكلام باطل ولا يصح حمله على القرآن القديم لانه ليس بحرف ولا صوت خلافا لمن زعم ذلك وقد ذكر المصنف

ان قدره
القرآن الخ

الشرطية وحذف الاستثنائية والنتيجة ووجه الملازمة في الشرطية ان
الاحياء المذكور اعظم آية وبه تكون الآيات مناسبة لقدره صلى الله
عليه وسلم أي يكون مجموعها بواسطة كون الاحياء المذكور منه مناسبا
لقدره الشريف لا كل فرد منها لانه لا يلزم من جعل الاحياء المذكور
منها ان يكون كل فرد منها مناسبا لقدره صلى الله عليه وسلم لا يقال
كيف لم يجعل الاحياء من آياته صلى الله عليه وسلم مع جعله من آيات
عيسى عليه السلام لانا نقول الكلام في احياء اسمه دارس الرمم حين
يدعى به وهذا كما لم يجعل من آياته صلى الله عليه وسلم لم يجعل من آيات
عيسى عليه السلام وانما الذى جعل من آيات عيسى احياؤه الموتى
باذن الله ولا يخفى ان قدره مفعول مقدم وآياته فاعل مؤخر والمراد من
قدره كمال قربه من الله تعالى والمراد بآياته أعلام نبوته كالمعجزات وقوله
عظما منصوب على نزع الخافض كما اشرنا اليه ويصح ان يكون تمييزا بل هو
الاولى لان النصب على نزع الخافض سماعى لكن كثر في كلام المؤلفين
حتى جرى مجرى القياسى وقوله احيا اسمه حين يدعى دارس الرمم أى
احيا الله بسبب اسمه دارس الرمم حين يدعى به كأن يقال يا الله بمحمد أحى
هذا الميت فاسناد الاحياء الى اسمه مجاز عقلى وصلة يدعى محذوفة أى به
والظرف متعلق بقوله أحيا ودارس الرمم مفعول أحيا فهو منصوب
وجوز بعضهم ان يكون مرفوعا على انه نائب فاعل يدعى ودعاؤه باسمه
كأن يقال ياميت احى باسم محمد صلى الله عليه وسلم ودارس بمعنى
مدروس واضافته لما بعده من اضافة الصفة للموصوف أى الرمم
المدروسة والرمم جمع رمة وهى الشئ البالى والمدروسة التى زيد فى بلائها
وخاصية هذه الابيات التى أولها محمد سيد الكونين الى آخر هذا البيت
شدة قلب المغازى فى سبيل الله فانه يكتبها ويمحوها بالماء الموجود فى شهر
برمودة ويشربها فانه بعد ذلك لا يخاف من الحرب ولا يزول وكذلك من
كتبها بماء ورد وزعفران وشربها فان الله يثبته عند سؤال منكر ونكير

لم يمتحنا بما تعيي العقول به * حرصاً علينا فلم نرتب ولم نهم

(قوله لم يمتحنا الخ) أي لم يختبرنا بشيء تعجز عنه عقولنا ولا تهتدي لوجهه لشدة رغبته في هدايتنا بل أتى بالحنيفية الواضحة فلم نتردد فيما أتانا به ولم نتحير فيه فالامتحان الاختبار وما واقعة على شيء والعي بالامر العجز عنه وعدم الاهتداء لوجهه والعقول جمع عقل وهو قوة يميز بها بين المصالح والمفاسد والحرص على الشيء شدة الرغبة فيه والارتياب الشك والهيام التحير ولا يخفى ان قوله حرصاً علينا على تقدير مضاف أي حرصاً على هدايتنا وهو مفعول لاجله وقد كان صلى الله عليه وسلم يضرب الامثال بالمحسوسات ليتضح ما يخفى ادراكه على بعض العقول فان قيل كيف يصح قول المصنف لم يمتحنا بما تعيي العقول به مع ان في القرآن المتشابه الذي لا يعلم تأويله الا الله أجيب بان المراد لم يمتحنا فيما كلفنا به بما تعيي العقول به وحينئذ فلا يرد المتشابه لانه لا يتعلق به تكليف لا يكلف الله نفساً الا وسعها على ان التحقيق ان الوقف على قوله تعالى والراسخون في العلم فهم يعلمون تأويله ويعلمونه لغيرهم

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى * في القرب والبعد فيه غير منفحم

(قوله أعيا الورى الخ) لما أخبر المصنف فيما تقدم بعجز اللسان عن التعبير بفضائله صلى الله عليه وسلم بقوله فان فضل رسول الله ليس له حد الخ أخبر هنا بعجز العقول عن ادراك كمالاته بقوله أعيا الورى الخ والاعياء الاعجاز والورى الخلق وقوله فهم معناه أي ادراك حقيقته صلى الله عليه وسلم مع ما خصه الله به من المعارف الالهية والاسرار الربانية واسناد الاعياء الى الفهم مجاز عقلي لان الذي أعياهم انما هو الله تعالى وقوله فليس يرى الخ تفريع على قوله أعيا الورى الخ وفي ليس ضمير الشان وهو مفسر بما بعده كما هو القاعدة ويرى بالبناء للمفعول وهي بصرية وفي القرب والبعد متعلق بيرى وفيه متعلق بمنفحم وفي بمعنى عن والضمير المتصل بها راجع لفهم معناه وقوله غير منفحم نائب فاعل يرى والمنفحم العاجز

وحاصل المعنى انه اعجز الخلق فهم حقيقته فليس يبصر شخص غير عاجز عنه في القرب والبعد منه صلى الله عليه وسلم والمتبادر ان المراد القرب والبعد بحسب المكان أي فليس يرى في المكان القريب والمكان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه ويحتمل ان المراد القرب والبعد بحسب الزمان أي فليس يرى في الزمان القريب والزمان البعيد منه صلى الله عليه وسلم غير عاجز عن ادراكه ويحتمل أيضا ان المراد القرب والبعد في المعنى فأهل الباطن الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم الشهود تضعف بصائرهم عن ادراكه صلى الله عليه وسلم لقوة اشراقه عليه الصلاة والسلام مع قربهم منه صلى الله عليه وسلم وأهل الظاهر الناظرون له صلى الله عليه وسلم في عالم الحس لايدركون الاشخاصا مصوّرا وجسما مقدرا لبعدهم منه صلى الله عليه وسلم

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من امم

(قوله كالشمس الخ) أي هو كالشمس الخ فهو خبر لمبتدا محذوف والمقصود تشبيهه صلى الله عليه وسلم بالشمس في انه لايحاط بكنهه وحقيقته في حالتي القرب والبعد كما وضح ذلك المصنف بقوله تظهر للعينين الخ لانه قصد بذلك بيان وجه الشبه وقوله من بعد أي في حالة البعد فمن بمعنى في وبعد بضمتين كما هو لغة في بعد بضم الباء وسكون العين وقوله صغيرة أي حال كونها صغيرة بقدر المرآة مثلا فهو حال من فاعل تظهر وقوله وتكل الطرف بضم التاء وكسر الكاف من تكل وسكون الراء من الطرف أي وتعيي البصر وتضعفه لقوة شعاع نورها وهذا هو الاقرب وقيل لعظم جرمها فانه قيل انها قدر كرة الارض مائة مرة ونيفا وستين مرة فلا يمكن الطرف ان يحيط بها وقوله من امم أي في حالة القرب فمن بمعنى في والأمم بفتح الهمزة القرب والمراد القرب منها فرضا فهو فرضي فقط وأما بعدها فهو واقع مطلقا وقيل ان البعد يكون في حال طلوعها وغروبها والقرب يكون في غير ذلك والاول اقرب ولذلك اقتصر عليه

بعض

بعض الشارحين

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته * قوم نيام تسلوا عنه بالحلم

(قوله وكيف يدرك الخ) هذا البيت في قوة التعليل لقوله اعيا الورى فهم معناه الخ وكيف للاستفهام الانكاري وهو بمعنى النفي أي لا يدرك الخ واحترز بقوله في الدنيا عن الآخرة فانهم يدركون فيها حقيقته صلى الله عليه وسلم لانه يحصل لهم اذ ذاك الانتباه ويكمل نور ابصارهم وبصائرهم فيدركون الحقائق والدقائق والاسرار فيظهر لهم حينئذ قدره صلى الله عليه وسلم ومنزلته ولذلك قدروا حينئذ على رؤية الحق سبحانه وتعالى لعدم رؤيتهم له تعالى في الدنيا لضعف قواهم وكونها عارضة للفناء فاذا رزقوا اقوى قوية مثبتة رأوا الباقي بالباقي والمراد بحقيقته صلى الله عليه وسلم قدره ومنزلته وقوله قوم نيام أي قوم غافلون عن النظر في حقيقته وهذا وصف لازم لا مخصص كما يؤخذ من قوله صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والمراد بالقوم جميع الورى وقوله تسلوا عنه بالحلم بضم اللام كما هو لغة في الحلم بسكونها أي اكتفوا عن النظر في حقيقته تفصيلا بما يشبه الحلم مما ادركوه بالخبر جملة كذا يؤخذ من كلام بعض الشارحين ويحتمل انه على ظاهره من انهم اكتفوا عن النظر في حقيقته بما يرونه في منامهم ان صحت لهم رؤيته في النوم وقد اقتصر على هذا بعض الشارحين والاصح ان رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم حق وان رؤى على غير هيئته التي كان عليها في الدنيا لحديث من رآني فقد رآني حقا وقيل لا تكون حقا الا ان رؤى على هيئته الشريفة

فمبلغ العلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

(قوله فمبلغ العلم فيه الخ) هذا البيت مفرع على قوله اعيا الورى فهم معناه الخ فيترتب على ذلك ان ما بلغه علم الناس في حقه صلى الله عليه وسلم انه بشر لا اله ولا ملك وانه خير مخلوقات الله كلهم انسا وجنا وملكا وغيرهم

وقوله فيه أي في حقه من حيث الذات ومن حيث الصفات وقوله انه بشر راجع للذات وقوله وانه خير خلق الله كلهم راجع للصفات فعلم من ذلك القصور عن ادراك الكنه في الجانبين والبشر اسم لبني آدم سموا بذلك لبدو بشرتهم وهي ظاهر الجلد وخير أصله اخير حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال ثم نقلت حركة الياء للخاء فصار خير فهو افعل تفضيل ولذلك لا يثنى ولا يجمع واما قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار فالمجموع فيه خير مخفف خير بالتشديد والخلق بمعنى المخلوقات على سبيل المجاز المرسل بحسب الاصل لكن صار حقيقة عرفية

وكل آي اتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

(قوله وكل آي اتى الرسل الخ) أي وكل المعجزات التي أتى بها الرسل الكرام لاممهم فلم تتصل بهم الا من معجزاته صلى الله عليه وسلم أو من نوره الذي هو أصل الاشياء كلها فالسموات والارض من نوره والجنة والنار من نوره ومعجزات الانبياء من نوره وهكذا فالآي بمعنى المعجزات جمع آية بمعنى المعجزة والرسل بسكون السين ويقال في غير النظم رسل بضمها جمع رسول والكرام جمع كريم وقوله بها متعلق بأتى والضمير راجع للآي وانما للحصر والمراد بنوره معجزاته وسميت نورا لانه يهتدى بها ويصح حمله على النور المحمدي الذي هو أصل المخلوقات كلها كما حمله عليه بعض الشارحين ومن للابتداء والباء للالصاق لا يقال كيف تكون المعجزات التي أتى بها الرسل الكرام لاممهم من نوره صلى الله عليه وسلم مع انهم متقدمون عليه في الوجود لانا نقول هو صلى الله عليه وسلم متقدم على جميع الانبياء من حيث النور المحمدي

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن انوارها للناس في الظلم

(قوله فانه شمس فضل الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله والمعنى على التشبيه أي فانه كالشمس في الفضل وقوله هم كواكبها أي الرسل كواكب الشمس والمعنى على التشبيه أيضا أي مثل كواكبها ووجه

التشبيه فيهما ان الشمس جرم مضيء بذاته والكواكب اجرام غير مضيئة بذاتها لكنها صقيلة تقبل الضوء فاذا كانت الشمس تحت الارض فاضاء نورها من جوانبها فيطلب الصعود لان النور يطلب مركز العلو فيصادف اجرام الكواكب الصقيلة المقابلة له فيرتسم فيها فتضيء في الظلمات وتظهر انوار الشمس فيها للناس من غير ان ينقص من نور الشمس شيء فنوره صلى الله عليه وسلم لذاته ونور سائر الانبياء ممتد من نوره من غير ان ينقص من نوره شيء فيظهرون ذلك النور في الكفر الشبيه بالظلم فلذلك قال المصنف يظهرن انوارها للناس في الظلم وكما ان الشمس اذا بدت لم يبق اثر للكواكب فكذلك شريعته صلى الله عليه وسلم لما بدت نسخت غيرها من سائر الشرائع كما يشير لذلك قوله في بعض النسخ (حتى اذا طلعت في الافق عم هداها العالمين واحيت سائر الامم) وظاهر هذا البيت انه صلى الله عليه وسلم مرسل للامم السابقة لكن بواسطة الرسل فهم نواب عنه صلى الله عليه وسلم وبهذا قال الشيخ السبكي ومن تبعه اخذا من قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والذي عليه الجمهور انه صلى الله عليه وسلم مرسل لهذه الامة دون الامم السابقة فالمسئلة خلافية والحق الاول

أكرم بخلق نبي زانه خلق * بالحسن مشتمل بالبشر متسم

(قوله اكرم بخلق نبي الخ) أي ما اكرم خلق نبي الخ فاكرم فعل تعجب لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر وفاعله ظاهر وهو الخلق بفتح الخاء وسكون اللام لكن دخلت عليه الباء الزائدة لتحسين اللفظ وقوله زانه خلق أي حسنه خلق بضم الخاء واللام بمعنى زاده حسنا قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال أنس كان صلى الله عليه أحسن الناس خلقا وقوله بالحسن مشتمل بالبشر متسم أي متصف بالحسن فاشتماله به من اشتمال الموصوف بالصفة متصف بالبشر وهو بكسر الباء وسكون الشين المعجمة بشاشة الوجه وطلاقته والاتسام الاتصاف ولا يخفى ان قوله بالحسن متعلق

بمشتمل وهو بالجر على انه صفة لنبي فهو من باب الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وكذا يقال في قوله بالبشر متسم وحاصل المعنى ما أحسن صورة نبي حسنه خلق متصف بالحسن متصف بالبشاشة وطلاقة الوجه

كالزهر في ترف والبدر في شرف * والبحر في كرم والدهر في همم

(قوله كالزهر في ترف الخ) صفة رابعة لنبي وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالزهر في الترف وبالبدر في الشرف راجع الى صورته الشريفة وتشبيهه صلى الله عليه وسلم بالبحر في الكرم وبالدهر في الهمم راجع الى خلقه الكريم والزهر نور النبات بفتح النون والترف بفتح التاء المثناة الفوقية والراء المهملة النعومة قال أنس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف النبي صلى الله عليه وسلم والبدر هو القمر ليلة كماله وهي ليلة أربعة عشر وانما سمي في تلك الليلة بدرا لانه يبدر الشمس بالطلوع والشرف بفتح الشين المعجمة والراء المهملة العلو وشرف البدر على سائر الكواكب الليلية وشرف النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق وكرم البحر مذكور في قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وكرم النبي صلى الله عليه وسلم مذكور في الاحاديث الكثيرة منها حديث أنس قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام أي لاجل الاسلام شيئا الا اعطاه اياه قال فسأله رجل غنما بين جبلين فأعطاه اياها فأتى قومه فقال يا قوم اسلموا فوالله ان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر والدهر الزمن والهمم جمع همة وهي العزم على الشيء والارادة له ونسبة الهمم الى الدهر على عادة العرب فانهم يجعلون للدهر عزمات وارادات ويشبهون الممدوح به في تلك العزمات والارادات وسبب ذلك ان الحادثات الدقيقة انما تقع في الدهر فينسبونها اليه على سبيل المجاز العقلي كقولهم نهاره صائم وليله قائم ولقد غلا أي تجاوز الحد من قال

له همم لا منتهى لكبارها * وهمته الصغرى اجل من الدهر

له راحة لو ان معشار عشرها * على البر كان البر اندى من البحر

ووجه الغلو أى مجاوزة الحد انه اثبت لممدوحه همما صغرى وكبرى وجعل همته الكبرى لا منتهى لها وجعل همته الصغرى أجل من الدهر أى من همم الدهر والمصنف جعل همم النبي مثل همم الدهر فيلزم من ذلك ان همم الممدوح أجل من همه صلى الله عليه وسلم وهو باطل وبعضهم نسب هذين البيتين لحسان يمدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم وعليه فلا غلوّ لانه صلى الله عليه وسلم كان كذلك وهذا ابلغ فى مدحه صلى الله عليه وسلم من كلام الناظم لكن لم يوجد ذلك فيما جمع من شعر حسان

كانه وهو فرد من جلالته * فى عسكر حين تلقاه وفى حشم

(قوله كأنه وهو فرد الخ) صفة خامسة للنبي وكان للتشبيه والضمير اسمها وجملة وهو فرد حال من المفعول فى تلقاه فالواو للحال ومن جلالته أى من اجل جلالته فهو تعليل للتشبيه المستفاد من كأن وحين تلقاه ظرف لما هو معنى كأن من التشبيه وقوله فى عسكر وفى حشم خبر كأن وتقدير البيت كانه حين تلقاه وهو فرد فى عسكر وفى حشم من أجل جلالته وقصد المصنف تشبيهه صلى الله عليه وسلم وهو منفرد بنفسه اذا كان فى عسكر وفى حشم وهو صلى الله عليه وسلم اذا كان فى عسكر وفى حشم له هيبة ووقار فكذلك وهو منفرد فيكون له أيضا هيبة ووقار من اجل جلالته والجلالة العظمة والعسكر الجيش والحشم بفتح الحاء والشين المعجمة الخدم والخطاب فى تلقاه لكل من صلح للخطاب وحكى ان بعضهم رأى فى المنام ان الصديق رضى الله عنه يزف النبيّ صلى الله عليه وسلم بهذا البيت والذى بعده

كأنما اللؤلؤ المكنون فى صدف * من معدنى منطق منه ومبتسم

(قوله كأنما اللؤلؤ المكنون الخ) صفة سادسة للنبي وقد جرى المصنف فى البيت السابق وهو قوله كالزهر فى ترف الخ على ما جرت به العادة

فى التشبيه وجرى فى هذا البيت على عكسه لانه شبه اللؤلؤ المكنون فى صدفه بكلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذين يبرزان من معدنى منطقه ومبتسمه والاصل أن يشبه كلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدنى منطقه ومبتسمه باللؤلؤ المكنون فى صدفه بجامع الحسن فى كل فالمصنف عكس التشبيه كما فى قول الشاعر

وبدى الصباح كان غرته * وجه الخليفة حين يمتدح

وفى ذلك اشارة الى ان الفرع لقوة وجه الشبه فيه صار اصلا والاصل لضعف وجه الشبه فيه صار فرعا ويسمى التشبيه المقلوب وهو ابلغ فى المدح واللؤلؤ هو الدر المسمى بالجوهر والمكنون المصون وفى صدف متعلق بالمكنون والصدف المحار الذى يتولد فيه وهو وعاء له يحفظه حتى ينشق عنه كما ان القلب وعاء للكلام النفسى حتى يبرزه اللسان وكما ان الشفتين المنضمتين على الثغر كالوعاء له وانما قيد اللؤلؤ بالمكنون فى صدف لانه يكون فى الصدف أحسن منظرا منه خارج الصدف والاضافة فى معدنى منطق منه ومبتسم للبيان أى من معدنين هما منطق منه ومبتسم ويصح ان تكون من اضافة المشبه به للمشبه أى من منطق ومبتسم شبيهين بالمعدنين والمنطق محل النطق وهو راجع لكلامه صلى الله عليه وسلم والمبتسم بفتح السين محل الابتسام لا بكسرها خلافا لبعض الشارحين وهو راجع لثغره صلى الله عليه وسلم ومعنى البيت كأنما اللؤلؤ المصون فى صدفه كلامه وثغره صلى الله عليه وسلم اللذان يبرزان من معدنى منطق منه ومبتسم وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الاول أى ومبتسم منه

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم

(قوله لا طيب يعدل الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما اتصف به من المحاسن قبل مفارقته الدنيا مدحه بما اتصف به من المحاسن بعدها فقال لا طيب الخ والطيب ما يتطيب به من مسك ونحوه والترب بسكون الراء

لغة فى التراب والضم الجمع والاعظم جمع عظم وطوبى اما مصدر بمعنى
التطيب أو اسم لشجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ولا يقطعها
وعلى الاول فهو بدل من اللفظ بفعله وهو طاب والاصل طاب المنتشق
والملتثم فحذف الفعل وأتى بالمصدر بدلا من التلفظ به وزيدت اللام
لتبيين الفاعل وعلى الثانى فهو مبتدأ خبره ما بعده وعلى كل فيحتمل انه
اخبار وانه دعاء وحاصل المعنى لا طيب يساوى التراب الذى جمع الجسد
الشريف وهو تراب قبره صلى الله عليه وسلم تطيب أو الشجرة التى فى
الجنة لمنتشق منه وملتثم على التفسيرين السابقين فى طوبى ولما كان
الطيب يستعمل على وجهين تارة يستعمل بالشم وتارة يستعمل بالتضمخ
اشار للاول بقوله منتشق وللثانى بقوله وملتثم والمراد بالملتثم هنا المعفر
موضع اللثام وهو الوجه وليس المراد المقبل أخذا له من الالتثام وهو
التقبيل لان تقبيل القبر الشريف وكذا ما فيه من التراب مكروه ومعلوم
ان طيب التراب المذكور انما سرى له من طيبه صلى الله عليه وسلم
الذى هو اعلى انواع الطيب ولذلك قال أنس ما شممت عنبرا ولا مسكا
ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان اطيبية ذلك
التراب يحتمل انها باعتبار ما عند الله تعالى ويحتمل انها باعتبار ما عند
غيره أيضا لكن لا يدرك ذلك الا من كشف له الغطاء من الاولياء المقربين
لان احوال القبر من الامور التى لا يدركها الا من ذكر فاندفع ما يقال
لو كان التراب المذكور من الطيب لزم ان يدرك طيبه كل احد كالمسك
فانه يدرك طيبه كل أحد على انه لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراك كل
أحد له لجواز انتفاء شرط أو وجود مانع وعدم الادراك لا يدل على انتفاء
المدرك الا ترى ان المزكوم لا يدرك رائحة المسك مع انها قائمة به وقد قال
عليه الصلاة والسلام القبر أول منزل من منازل الآخرة فاما روضة من
رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ولا شك ان قبره صلى الله عليه وسلم
روضة من رياض الجنة بل افضلها وقد قال أيضا عليه الصلاة والسلام

مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة وكل من القبر والمنبر داخل في حكم ما بينهما اما القبر فللخبر العام الذى ذكر واما المنبر فلقوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث ومنبرى على حوضى والحوض من الجنة واذا تقرر كون هذا المكان من الجنة لم يبق عند العاقل المصدق بالشريعة امتراء في انه لا طيب يعدله وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الاول أى وملتثم منه كما تقدم في البيت السابق

ابان مولده عن طيب عنصره * ياطيب مفتتح منه ومختتم

(قوله ابان مولده الخ) الابانة الكشف والاظهار والمولد مصدر ميمى يصلح لان يراد به الولادة أو زمانها أو مكانها وعلى كل من الاحتمالات الثلاثة لابد من تقدير مضاف والاصل ابان آيات مولده وعن للتعدية والطيب الخلوص عما لا ينبغى في النسب والعنصر بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد هو الاصل والمراد به آباؤه الذين تناسل هو منهم وقوله ياطيب الخ نداء للطيب على سبيل التعجب لان العرب اذا استعظمت شيئا نادته على سبيل التعجب أى ياطيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك والمراد بالمفتتح بفتح التاءين المثناتين من فوق آدم عليه السلام وبالمختتم كذلك سيدنا عبد الله خلافا لما قاله بعض الشارحين من ان المراد بالمفتتح هاشم وبالمختتم النبى صلى الله عليه وسلم لان افتتاح عنصره ليس بهاشم بل بآدم واختتامه ليس بالنبى صلى الله عليه وسلم بل بسيدنا عبد الله واذا تعجب من طيب المفتتح والمختتم لزم ان يتعجب من طيب ما بينهما وفى بعض النسخ بدل المفتتح المبتدا والضمير في قوله منه راجع للعنصر وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الاول أى ومختتم منه كما في البيتين قبله وحاصل معنى البيت اظهرت وكشفت آيات مولده عن خلوص آبائه صلى الله عليه وسلم عما لا ينبغى في النسب ياطيب مفتتح الخ احضر ليتعجب منك ومن آيات مولده صلى الله عليه وسلم ماذكروه عن امه انها قالت لقد أخذنى الطلق وانى لوحيدة في المنزل

وعبد المطلب فى طوافه يوم الاثنين فسمعت وجبة أى سقطة هالتنى ورأيت كأن جناح طير أبيض مسح فؤادى فذهب رعبى وكل وجع أجده وكنت عطشى فاذا بشربة بيضاء فشربتها فأصابنى نور عال الى آخر الحديث وقد ذكره بطوله القسطلانى

يوم تفرس فيه الفرس أنهم * قد أنذروا بحلول البؤس والنقم

(قوله يوم الخ) أى هو يوم الخ فهو خبر مبتدأ محذوف والضمير راجع لمولده بمعنى زمان الولادة فقط وان كان محتملا فيما تقدم للحدث وللزمان وللمكان وقوله تفرس فيه الفرس أى ظهر لهم بطريق الفراسة بكسر الفاء وهى قوة يدرك بها الانسان المعانى اللطيفة بسبب المخايل الظاهرة بخلاف الفراسة بفتح الفاء فانها الحذق فى ركوب الخيل والفرس بضم الفاء وسكون الراء أهل مملكة فارس وكانوا مجوسا يعبدون النار بعد رفع كتابهم حين بدلوه وانما سموا فرسا لانه ولد لابيهم بضعة عشر رجلا كل منهم شجاع فارس فسموا الفرس لذلك وقوله انهم بالاشباع وقوله قد انذروا أى اعلموا بالبناء للمجهول وقوله بحلول البؤس والنقم أى بنزول البؤس والنقم بهم والجار والمجرور متعلق بانذروا والحلول من حل يحل بالضم أو بالكسر اذا نزل والبؤس هو الشدة المؤثرة فى القلب الهم والحزن والنقم جمع نقمة وهى العقوبة والمراد بالبؤس والنقم ما حصل لهم من خراب ملكهم وتشتيت أمرهم وتفريق قبائلهم وتمزيقهم كل ممزق كما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم * وحاصل المعنى ان يوم ولادته صلى الله عليه وسلم يوم ظهر للفرس فيه انهم انذروا بنزول الشدة والعقوبات بهم حيث قارنه ماسيذكره الناظم من الارهاصات المؤسسة لنبوته صلى الله عليه وسلم

وبات ايوان كسرى وهو منصدع * كشمل اصحاب كسرى غير ملتئم

(قوله وبات ايوان كسرى الخ) عطف على قوله تفرس الخ أى وبات

فى ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ايوان كسرى الخ والايوان كديوان بناء يبنى طولا غير مسدود الوجه يعده الملك لجلوسه فيه لتدبير ملكه وقد كان سمك ذلك الايوان مائة ذراع فى مثلها ومكث فى بنائه نيفا وعشرين سنة ولهذا كان يظن انه لا يهدمه الا نفخة الصعق وقد أراد هارون الرشيد هدمه لما بلغه ان تحته مالا عظيما فعجز عنه فأبقاه على حاله وكسرى بكسر الكاف لقب لكل من ملك الفرس والمراد به هنا انوشروان بن قباد بن فيروز وقوله وهو منصدع أى والحال انه منشق شقا بينا أشرف به على الهدم لا لخلل فى بنائه بل ليكون آية من آياته صلى الله عليه وسلم ومع انصداعه سقط منه اربعة عشر شرافة من شرافاته وكانت اثنين وعشرين وقد روى انه لما ارتج ايوان كسرى وسقط منه الاربع عشرة شرافة احزنه ذلك فوجه الى النعمان ملك العرب يستفسره عن سر ما بدا فرفع النعمان الخبر الى سطيح وقد اشرف على الضريح وهو القبر فقال يكون سبى وسبايات ويموت ملوك وملكات بعدد الشرافات ثم قضى على سطيح وقوله كشمل أصحاب كسرى بفتح الشين أى حالهم وقوله غير ملتئم خبر بات وحاصل المعنى وصار ايوان كسرى والحال انه منصدع غير ملتئم كشمل أصحاب كسرى فانه بات أيضا غير ملتئم بل تفرق ولم يتفق لأحد مثل ما اتفق لكسرى فى كثرة جيوشه واعوانه ولم يزالوا فى تفرق وتشتت حتى جاءت بشائر الاسلام

والنار خامدة الانفاس من اسف * عليه والنهر ساهى العين من سدم

(قوله والنار خامدة الانفاس الخ) يجوز رفع الجزئين على الابتداء والخبر والعطف حينئذ من عطف الجمل لان هذه الجملة معطوفة على جملة قوله بات ايوان كسرى الخ ويجوز رفع الاول على انه معطوف على ايوان ونصب الثانى على انه معطوف على غير ملتئم وهكذا يقال فى قوله والنهر ساهى العين الخ على لغة من اعرب المنقوص نصبا كاعرابه رفعا وجرا والعطف حينئذ من عطف المفردات والمراد من النار نار الفرس التى كانوا

يعبدونها وكان لها خدمة يوقدونها ولم تخمد قبل تلك الليلة بألف عام وفي عبارة بعضهم بألفي عام ومعنى كونها خامدة الانفاس كونها منطفئة اللهب مع بقاء الجمر فخمود النار انطفاء لهبها مع بقاء جمرها واما الهمود فانطفاء لهبها مع جمرها والانفاس جمع نفس بفتح الفاء والمراد به هنا لهب النار على طريق الاستعارة التصريحية وقوله من اسف أى من اجل اسف فمن للتعليل والاسف بفتح الهمزة والسين شدة الحزن وقوله عليه متعلق باسف والاظهر ان الضمير المجرور بعلى راجع للايوان وجوز بعض الشارحين ان يكون راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه ذلك بان ولادته صلى الله عليه وسلم سبب في ترك عبادتها وهذا من حسن التعليل تقريعا لهم وهو ان يدعى لحكم علة مناسبة لكنها غير موافقة للواقع كما في قوله

ومانزل الغيث الا لكي * يقبل بين يديك الثرى

وقوله والنهر ساهي العين قد عرفت اعرابه والمراد بالنهر نهر الفرات الذى كان به قوامهم وكان قد ضل الطريق ووقع في سماوة وهي بادية بين دمشق والعراق والمراد بكونه ساهي العين انه ساكن العين التي هي مادته عن الجرى على سبيل الاستعارة ويحتمل ان في الكلام استعارة بالكناية فيكون قد شبه النهر بانسان ساهي العين تشبيها مضمرا في النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو ساهي العين وقوله من سدم أى من أجل سدم فمن للتعليل والسدم بفتح السين والدال الحزن وهذا من حسن التعليل أيضا وبعضهم جعل اثبات الاسف للنار والسدم للنهر مجازا عقليا لتنزيل كل منهما منزلة العاقل وقد عرفت انه من حسن التعليل فلا حاجة لذلك وفي كلامه الحذف من الثاني لدلالة الاول أى من سدم عليه كما تقدم في نظائره

وساء ساوة ان غاضت بحيرتها * ورد واردها بالغيظ حين ظمى

(قوله وساء ساوة الخ) أى وساء أهل ساوة الخ فهو على تقدير مضاف

على حذف قوله تعالى واسئل القرية أى أهلها وساوة اسم لمدينة من مدن الفرس وهى بين همدان والرى وقوله ان غاضت بحيرتها فاعل بساء ومعنى غاضت بضاد معجمة قل و بصاد مهملة غار ماؤها وذهب بالمرة حتى ان لهب النار ينبع من قعرها كانما طبخت ارضها وكانت هذه البحيرة بركة عظيمة تسير فيها السفن للبلاد التى على ساحلها وكان طولها ستة اميال فى مثلها عرضا وقيل ستة فراسخ فى مثلها عرضا وقال البكرى كان طولها عشرة اميال وعرضها ستة وكان حولها بيع وكنائس نخربت ومن ذلك يعلم ان التصغير فيها ليس للتحقير وقوله ورد واردها الخ أى وأن رد واردها الخ فهو معطوف على مدخول أن فى قوله أن غاضت بحيرتها والباء فى قوله بالغيظ للملابسة أو المصاحبة أى ملابسا للغيظ أو مصاحباله والجار والمجرور متعلق برد وقوله حين ظمى ظرف لواردها أى الذى يردها ويأتى اليها ليستقى من مائها حين عطش وحاصل المعنى واحزن أهل المدينة المسماة بساوة أمران أحدهما غيض مائها والثانى رد الذى يردها ليستقى منها بالغيظ حين عطش

كأن بالنار ما بالماء من بلل * حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

(قوله كان بالنار الخ) لا يخفى ان بالنار خبر كأن مقدم وما بالماء اسمها مؤخر والاصل كأن ما بالماء بالنار وما اسم موصول بمعنى الذى وقوله من بلل بيان لها وقوله حزنا أى للحزن فهو علة لقوله كأن بالنار ما بالماء من بلل وقوله وبالماء ما بالنار من ضرم فيه ما تقدم فيما قبله أى وكأن بالماء ما بالنار من ضرم والضرم الالتهاب وفيه الحذف من الثانى لدلالة الاول أى حزنا وحاصل المعنى ان النار التى خمدت تلك الليلة صارت كأن بها ما بالماء من البلل فصارت مبتلة لحزنها وان الماء الذى غاض تلك الليلة صار كأن فيه ما بالنار من الضرم لحزنه أيضا فكأنّ ما بكل من نار فارس وماء بحيرة ساوة انتقل للآخر من الحزن وخص الناظم من أوصاف الماء البلل دون البرودة مثلا ومن أوصاف النار الاضطرام دون الحرارة

مثلا

مثلا لان البلل هو الذي يخرج النار عن حقيقتها بخلاف البرودة فانها لا تخرجها عن حقيقتها قال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم والاضطرام هو الذي يخرج الماء عن حقيقته بخلاف الحرارة فانها لا تخرجه عن حقيقته فانه يقال ماء حار ولا يقال ماء مضطرم لان الاضطرام يستلزم غاية اليبس فان قيل الجمادات كلها لا توصف بالكفر بل منقادة خاضعة لله قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده فكيف يقول الناظم حزنا والالائق ان يكون ذلك فرحا اجيب بأن النار تحزن على نفسها من اجل انها لا توقد والماء يحزن على نفسه من حيث انه لا يجرى فكل منهما شبيه بالحزين لاجل ذلك هذا ان كان المراد حزن ذاتهما كما هو المتبادر وان كان المراد حزن أهلهما فلا اشكال لان اهلهما يحزنون على تغير مالكهم وتشتيت أمرهم

والجن تهتف والانوار ساطعة * والحق يظهر من معنى ومن كلم

(قوله والجن تهتف الخ) أي وصارت الجن تهتف في الجبال والاودية فمن ذلك ما جاء انه حين ولد صلى الله عليه وسلم هتف هاتف على الحجون وهو ينشد ويقول

فاقسم ما انثى من الناس انجبت * ولا ولدت انثى من الناس واحده
كما ولدت زهرية ذات مفخر * مجنبة لؤم القبائل ماجده

ومنها ان هاتف سواد بن قارب أنشده ابياتا ثلاث ليال فيها الحث على المجيء لرسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به وعظيم مدحه والجن هم أولاد ابليس كما ان البشر أولاد آدم وقيل الجن أولاد الجان فابليس أبو الشياطين والجان أبو الجن والقول الاول اقوى والهتف قيل الصوت مطلقا وقيل الصوت الخفي وقوله والانوار ساطعة أي والانوار التي خرجت معه صلى الله عليه وسلم عند ولادته لامعة ظاهرة ففي الحديث عن آمنة رضي الله تعالى عنها انها قالت لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشأم فولدته نظيفا ما به قذر والى ذلك يشير عمه العباس بقوله

وأنت لما ولدت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو * ر وسبل الرشاد نخترق

وقوله والحق يظهر من معنى ومن كلم أى والحق الذى هو أمره صلى الله عليه وسلم من نبوته ورسالته يظهر من معنى كالانوار ومن كلم كهتف الجن ففى ذلك مع قوله والجن تهتف والانوار ساطعة لف ونشر مشوش

عموا وصموا فاعلان البشائر لم * تسمع وبارقة الانذار لم تشم

(قوله عموا وصموا الخ) هذا البيت واقع فى جواب سؤال مقدر فكأن شخصا قال له اذا كان الحق يظهر من معنى ومن كلم فما بال الكفار جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم فأجابه المصنف بأنهم عموا وصموا الخ فالضمير راجع للكفار فلكونهم لم ينتفعوا بما شاهدوه من المعنى ولا بما سمعوه من الكلم حيث جحدوا نبوته صلى الله عليه وسلم مع كون الحق يظهر من معنى ومن كلم كأنهم عموا عن مشاهدة المعنى كالانوار وصموا عن سماع الكلم كهتف الجن ففى ذلك مع قوله والحق يظهر من معنى ومن كلم لف ونشر مرتب وقوله فاعلان البشائر لم تسمع أى فاظهار البشائر به صلى الله عليه وسلم كهتف الجن لم تسمع لهم سماع قبول وهذا مرتب على قوله وصموا وانما قال لم تسمع بالتاء الفوقية لان المضاف اليه اكسب المضاف التأنيث وقوله وبارقة الانذار لم تشم أى ولامعة الانذار به صلى الله عليه وسلم أى نحو ما يفهم به كالانوار لم تنظر لهم نظر قبول فالمراد بالبارقة اللامعة وهى فى الاصل اسم للسيف اللامع يقال بيده بارقة أى سيف لامع والمراد بقوله لم تشم لم تنظر يقال شام البرق نظر اليه وهذا مرتب على قوله عموا ففى ذلك مع قوله عموا وصموا لف ونشر معكوس

من بعد ما اخبر الاقوام كاهنهم * بان دينهم المعوج لم يقم

(قوله من بعد ما اخبر الخ) متعلق بقوله عموا وصموا وفى ذلك غاية التقبيح بهم حيث جحدوا من بعد ما علموا حقيقة الحال من كاهنهم الذى كانوا

يصدقونه ويتبعونه فيما يقوله وما مصدرية فيؤول الفعل بعدها بمصدر والاقوام مفعول مقدم وكاهنهم فاعل مؤخر والكاهن من كان له تابع من الجن يخبره بخبر السماء لاستراقه السمع فيحدثهم بذلك لكن يزيد على الكلمة الحقة مائة كذبة وقوله بأن دينهم المعوج لم يقم أى بأن ماهم عليه من الدين المعوج لاشتماله على عبادة الاصنام لاقيام له مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمراد انه أخبرهم بما يفيد ذلك لانه أخبرهم بانه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهاب دينهم المعوج

وبعد ماعاينوا فى الافق من شهب * منقضة وفق مافى الارض من صنم

(قوله وبعد ماعاينوا الخ) أى ومن بعد ماعاينوا الخ فهو معطوف على بعد فى قوله من بعد ما أخبر الخ فيقرأ لفظ بعد بالجر نظرا لذلك ويصح قراءته بالنصب نظرا لمحل الجار والمجرور وما موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف والتقدير عاينوه أى شاهدوه وأبصروه وقوله فى الافق بسكون الفاء كما هو لغة فى الافق بضمها والمراد به هنا السماء لاحقيقته التى هى اطراف السماء المماسة للارض لعدم وجود الشهب فى ذلك وقوله من شهب بيان لما عاينوه والشهب جمع شهاب وهو شعلة من نار ساطعة وليس هو النجم كما قد يتوهم لانه لا ينقض ولا يسقط وقوله منقضة أى ساقطة من السماء على الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم يكن للكفار عهد بمثل ذلك وان كان لهم به عهد فى الجملة وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع من السموات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات بسقوط الشهب عليهم ولما ولد صلى الله عليه وسلم زيد فى حراسة السماء فنعوا من سائرها بسقوط الشهب عليهم بكثرة لكن كانوا يقعدون فى مقاعد قريبة من السماء بحيث يسمعون صريف الاقلام أى صوت اقلام الملائكة التى تكتب مايقع فى العالم ولما بعث صلى الله عليه وسلم منعوا من ذلك بالشهب أيضا كما قال الله تعالى حكاية عنهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع

فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وقوله وفق ما فى الارض أى مثل ما فى الارض فى الانقضاض والسقوط لان اصنام الدنيا اصبحت منكوسة تلك الليلة وما موصولة بمعنى الذى وقوله من صنم بيان لها أى من جنس الصنم الصادق بالكثير والصنم والوثن بمعنى واحد وقيل الصنم ما كان مصوّرا والوثن ما كان غير مصور وقيل الصنم ما كان من حجر والوثن ما كان من غيره كنحاس

الوثن

حتى غدا عن طريق الوحى منهزم * من الشياطين يقفو اثر منهزم

(قوله حتى غدا الخ) أى ولم تزل الشهب تنقض الى ان غدا الخ فهو غاية لمحذوف وحتى بمعنى الى وغدا بمعنى صار وقوله عن طريق الوحى متعلق بمنهزم الواقع اسما لغدا وطريق الوحى هو السماء والوحى الكلام الخفى والكتاب والاشارة والرسالة والالهام الى غير ذلك والمنهزم الهارب وقوله من الشياطين بيان لمنهزم مشوب بتبعيض وقوله يقفو اثر منهزم أى يتبع اثر هارب آخر وحاصل المعنى ولم تزل الشهب تنقض الى ان صار هارب من الشياطين عن السماء التى هى طريق الوحى يتبع اثر هارب آخر وهلم جرا

كأنهم هربا ابطال ابرهة * أو عسكر بالحصى من راحتيه رمى

(قوله كأنهم هربا الخ) الضمير للشياطين وهربا حال أى فى حال كونهم هاربين والابطال جمع بطل وهو الشجاع القوى جدا وسمى بطلا لبطلان همم الشجعان عند ملاقاته أو لان الدماء تبطل عنده فلا يؤخذ بثارها وابرهة بالصرف للضرورة والا فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ومعناه بلسان الحبشة ابيض الوجه والمراد به هنا ملك اليمن والعسكر الجيش كما تقدم والحصى حجارة صغيرة صلبة والراحتان بطنا الكف وقوله رمى بالبناء للمجهول صفة لعسكر ويتعلق به كل من قوله بالحصى وقوله من راحتيه والمقصود تشبيه الشياطين فى حال هربهم من

الشهب

الشهب بابطال ابرهة أو بالعسكر الذى رمى بالحصى من راحتيه صلى الله
عليه وسلم والمصراع الاول اشارة الى قصة أصحاب الفيل والمصراع الثانى
اشارة الى غزوة بدر على ماروواه البخارى من ان رمى الحصى كان فى غزوة
بدر أو الى غزوة حنين على ماروواه مسلم من ان رمى الحصى كان فى غزوة
حنين ولا مانع من تعدد الرمى واشار بقوله رمى بالبناء للمجهول الى ان
النبى صلى الله عليه وسلم وان باشر الرمى ظاهراً لكن الرامى حقيقة هو الله
قال تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ولما رماه صلى الله عليه وسلم
فى وجوه الاعداء لم يبق منهم أحد الا دخل التراب فى عينيه وانهزموا جميعا
فتبعهم المسلمون يأسرونهم ويقتلونهم وحاصل قصة أصحاب الفيل ان
ابرهة رأى الناس يتجهزون ايام الموسم للحج فقال أين يذهبون فقيل
يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قيل من الحجارة فقال والمسيح لأبنين لكم
بيتا خيرا منه فبنى لهم كنيسة من الرخام الاسود والاحمر والاصفر
وحلاها بالذهب والفضة وانواع الجواهر وأراد صرف الحج اليها ومنع
الناس من الذهاب الى مكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من
كنانة مغضبا وتغوط فيها ولطخ قبلتها بالعذرة ولحق بارضه فاغضب ذلك
ابرهة وحلف لينقضن الكعبة حجرا حجرا وكتب الى النجاشى يخبره بذلك
وسأله ان يبعث اليه فيله فلما قدم اليه الفيل خرج فى ستين ألفا فلما بلغ
المغمس بضم الميم الاولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم الثانية مفتوحة
أو مكسورة أمر ابرهة رجلا بالغارة الى مكة فمضى اليها واستاق ابل
قريش وغنمهم فهموا بقتاله ثم عرفوا انهم لا يطيقون قتاله فتركوه ثم لما
تهيأ ابرهة لدخول مكة برك الفيل فضربوه فى رأسه ليقوم فأبى فوجهوه
الى غير مكة فقام يهرول ثم وجهوه الى مكة فبرك ثم ارسل الله عليهم الطيور
الابابيل مع كل طائر ثلاثة احجار حجر فى منقاره والآخران فى رجليه
فذهبوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان الحجر يصيب رأس الرجل
فيخرج من دبره ومن اسفل مركوبه والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى

قصة اصحاب

بقوله الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة

نبذا به بعد تسبيح ببطنهما * نبذ المسبح من احشاء ملتقم

(قوله نبذا به الخ) أي نبذه النبي صلى الله عليه وسلم نبذا الخ فنبذا مصدر منصوب بفعل محذوف من لفظه أو منصوب بقوله رمى في البيت قبله فيكون العامل فيه موافقا له في المعنى كما في قولك جلست قعودا وقوله به أي بالحصى وهو متعلق بنبذا وقوله بعد تسبيح ببطنهما أي بعد تسبيح الحصى في بطن الراحتين الشريفتين بمعنى الكفين وظاهر كلام المصنف ان الحصى المرمى به سبح في كفيه صلى الله عليه وسلم وكأن الناظم وقف على ذلك أو انه قصد التسبيح الثابت في غير ذلك كما رواه أنس حيث قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبح في كفه حتى سمعنا التسبيح ثم وضعه في يد أبي بكر فسبح أيضا ثم في يد عمر فسبح أيضا ثم في ايدينا فما سبح وبذلك اندفع ما اعترض به بعضهم على المصنف من انه لم يثبت ان الحصى الذى رمى به في يوم بدر او حنين سبح في كفه قبل ان يرمى به وقوله نبذ المسبح من احشاء ملتقم أي كنبذ المسبح الذى هو يونس عليه السلام من احشاء الملتقم له والاحشاء ما انضمت عليه الاضلاع وقيل الامعاء والملتقم له هو الحوت قال الله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم أي فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه السفينة بلا اذن من ربه فلولا انه كان من الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لصار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة فالقيناه من بطن الحوت بوجه الارض بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما وهو عليل كالفرخ الممعط وقال تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين أي فنادى في الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت بان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من

الظالمين فى ذهابى من بين قومى من غير اذن ومراد المصنف التشبيه به فى ان كلا أمر خارق للعادة وفى كلامه من المحسنات البديعية الاستتباع لانه بعد أن تكلم على انقضاض الشهب على الشياطين وتشبيههم فى حال هربهم بابطال ابرهة أو بالعسكر الذى رمى بالحصى من راحتيه الشريفتين استتبع الكلام على تسبيح الحصى بكفيه صلى الله عليه وسلم وحقيقة الاستتباع ان يضمن كلام سيق لمعنى معنى آخر كما فى قول ابن نباته

ولا بد لى من جهلة فى وصاله * فمن لى بخل أودع الحلم عنده

فانه سيق للاخبار بكونه حليما وضمنه الشكاية بانه ليس فى الاخوان من يصلح لايداع الحلم عنده

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشى اليه على ساق بلا قدم

(قوله جاءت لدعوته الاشجار الخ) أى أتت لطلبه الاشجار الخ فالمجىء الاتيان والدعوة الطلب والاشجار جمع شجرة وقوله ساجدة حال من الاشجار والمراد بالسجود هنا معناه اللغوى وهو الخضوع وجملة قوله تمشى الخ اما حال من الاشجار فتكون حالا مترادفة أو من الضمير فى ساجدة فتكون حالا متداخلة وقوله على ساق متعلق بتمشى والساق ما تحت الفروع من الشجرة وقوله بلا قدم صفة للساق أو متعلق بتمشى واشار بذلك لما روى ان أعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فمالت عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها حتى قطعت عروقها ثم جاءت تجر عروقها فى الارض فوقفت بين يديه وقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابى مرها فلترجع الى منبتها فأمرها فرجعت ودلت عروقها فى منبتها فاستوت فيه وفى بعض الروايات فقال الاعرابى ائذن لى ان اسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فأذن لى ان اقبل يديك ورجليك فأذن له وانما لم يأذن له صلى الله عليه وسلم بالسجود ايذانا بان السجود لا يكون الا لله لان مكانه من الدين عظيم لما فيه

من غاية الخضوع ومن ذلك ما رواه مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب يقضي حاجة الانسان فنظر فلم يجد شيئا يستتر به واذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق الى احداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي معي باذن الله فانقادت معه حتى أتى الشجرة الاخرى فأخذ ببعض اغصانها فقال انقادي معي باذن الله فانقادت معه حتى اذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما وقال لهما التئما علي باذن الله فالتأمتا ثم بعد انقضاء حاجته افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق

كانما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(قوله كانما سطرت الخ) هذا البيت لبيان اعتدالها في مشيها القويم وسلوكها السنن المستقيم والمعنى كانما سطرت تلك الاشجار في حال مشيها سطرا الذي كتبته فروعها وهو الخط البديع أي الذي لم يعهد مثله المرسوم في اللقم بفتح اللام والقاف أي وسط الطريق لكونها مشت مشي استقامة فلما لم يكن في مشيها ميل ولا عوج شبه مشيها على ذلك الوجه بتسطير الكاتب سطرا مستقيما ليكتب عليه وعلم من ذلك انّ ما في قوله لما كتبت موصولة والعائد محذوف ومن للبيان والاضافة في قوله بديع الخط من اضافة الصفة للموصوف وقد شبه اثر فروعها في الارض المفيد للمعتبر كالاعرابي السابق بالخط الدال على اللفظ المفيد للمتدبر للمعاني على طريق التصريح

مثل الغمامة اني سار سائرة * تقيه حر وطيس للهجير حمى

(قوله مثل الغمامة الخ) أي هي مثل الغمامة الخ فهو بالرفع خبر لمبتدا محذوف ويصح قراءته بالنصب على انه حال من الاشجار أي حال كونها مثل الغمامة الخ والمراد انها مثلها في الانقياد له صلى الله عليه وسلم معجزة وآية لرد المعارض فقد انقاد له عليه الصلاة والسلام الاعالي والاسافل فالاشجار من الاسافل والغمامة من الاعالي لانها السحابة وقوله اني سار

سائرة

سائرة أى فى أى موضع سار هى سائرة أو كيف سار هى سائرة فانى بمعنى فى أى موضع أو بمعنى كيف وعلى كل فسائرة بالرفع خبر لمبتدا محذوف ويصح نصبه على انه حال من الغمامة وجملة قوله تقيه الخ خبر ثان على الاول وحال ثانية على الثانى وقوله حر وطيس أى حر الشمس الشبيهة بالوطيس فى الحرارة فالوطيس فى كلام المصنف مستعار للشمس على طريق الاستعارة التصريحية وان كان فى الاصل هو التنور وقوله للهجير أى عند الهجير فاللام بمعنى عند وهو ظرف لحر وطيس أو لقوله تقيه والهجير والهاجرة بمعنى واحد وهو وسط النهار اذا كان حارا وقوله حمى يصح جعله فعلا ماضيا فتكون الجملة صفة لوطيس أو فى موضع الحال من الهجير أى حال كونه قد حمى وتكون حالا مؤكدة لما علمت من معنى الهجير ويصح جعله اسم فاعل بمعنى حامى فيكون نعتا للوطيس أو للهجير ويكون وصفا كاشفا وهذا البيت اشارة الى ماروى من ان أبا طالب خرج الى الشأم ومعه النبى صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من قريش الى ان اشرفوا على بحيرا الراهب وكان فى صومعته فنزلوا عنده وحطوا رحالهم وكانوا يمرون به قبل ذلك فلا يخرج اليهم وفى هذه المرة خرج اليهم وجعل يتخللهم حتى جاء للنبى صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول الله الذى يبعثه رحمة للعالمين فقال له اشياخ قريش وما علمك بهذا فقال انكم حين أشرفتم من مكة والغمامة تظلله فوق رأسه ولم يبق حجر ولا شجر الا خر له ساجدا ولا يسجدان الا لنبى وانى لأعرفه بخاتم النبوة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به كان صلى الله عليه وسلم فى رعاة الابل فأرسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظلله فلما جلس وكانوا قد سبقوه الى فىء الشجرة مالت عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال اليه

اقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم

(قوله اقسمت بالقمر الخ) أى اقسمت برب القمر الخ لان أهل الشرع

يمنعون الحلف بغير الله تعالى وان جرت عليه عادة الادباء لكن محل المنع في حقنا واما في حقه تعالى فله ان يحلف بما شاء من مخلوقاته لانها من آثاره قال تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها الآية وانما عبر بالماضي دون المضارع اشارة الى ان اعتقاده مطوي عليه منذ عقل وقوله المنشق أي الذي انشق آية له صلى الله عليه وسلم لان أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر فلقتين فكانت فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا فقال كفار قريش قد سحرنا محمد فابعثوا الى أهل الآفاق حتى ننظر هل رأوا مثل هذا فأخبر أهل الافاق انهم رأوه منشقا فقال كفار قريش هذا سحر مستمر فنزل قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وجملة قوله ان له الخ جواب القسم والضمير الاول للقمر المنشق والضمير الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله من قلبه متعلق بنسبة وقدمه عليها للاهتمام ومن بمعنى الباء والمراد بالنسبة المناسبة والمشابهة في الانشقاق اما انشقاق القمر فقد علمته وأما انشقاق قلبه الشريف فقد وقع أربع مرات وقد جمعها بعضهم في قوله

وشق صدر المصطفى وهو في * دار بني سعد بلا مريه
كشقه وهو ابن عشر ثم في * ليلة معراج وعند البعثه

وزيد خامسة عند عشرين سنة لكنها لم تثبت وقوله مبرورة القسم أي ان القسم عليها مبرور فيه يقال بر في يمينه اذا صدق فيها والمتبادر انه صفة للنسبة لكن جعلوه صفة لموصوف محذوف دل عليه السياق والتقدير يمينا مبرورة القسم وفيه شئ لان اليمين بمعنى القسم فيصير التقدير قسما مبرور القسم ولا يخلو عن ركة الا ان يقال انه من باب الاظهار في مقام الاضمار وقد علمت ما فيه الغنية عن ذلك

وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمي

(قوله وما حوى الغار الخ) أي واذكر ما حوى الغار الخ أو واقسمت بما

حوى الغار الخ وعلى الثانى فجواب القسم معلوم مما قبله والغار نقب فى الجبل وكان فى جبل ثور باسفل مكة وقوله من خير ومن كرم بيان لما حوى الغار وظاهره ان المراد نفس الصفتين من غير تقدير مضاف وعليه فما باقية على معناها كما ذكره بعضهم والاظهر جعله على حذف مضاف أى من ذى خير ومن ذى كرم وعلى هذا فما بمعنى من لان ما لغير العاقل ومن للعاقل والمراد بالخير الاخلاق الحميدة وبالكرم الجود فهما متغايران تغاير الاعم والاخص وكل منهما لكل من النبى صلى الله عليه وسلم ومن أبى بكر ويحتمل ان الاول للنبى صلى الله عليه وسلم والثانى لابى بكر وعلى هذا فانما خصه بالكرم لانه آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وماله ولذلك لما أتيا الى الغار تقدم أبو بكر فى الدخول لاحتمال ان يكون فيه ما يؤذى فيتلقاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد شيئا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبى بكر وكان هنالك جحر فيه حيات وافاعى فخشى أبو بكر أن يخرج منه شئ يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم فالقمه قدمه فجعلت الحيات والافاعى تضربنه وتلسعنه ولم يتحرك مخافة ان يوقظ النبى صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا بكر ما يبكيك قال لدغت فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده لكنه كان يعاوده ذلك حتى كان سبب موته على المشهور وفى بعض التواريخ انه مات بسم آخر لانه أكل مرة مع اعرابى فقال له الاعرابى ارفع يدك يا خليفة رسول الله فان هذا الطعام فيه سم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد وكان كذلك وقوله وكل طرف الخ أى والحال ان كل طرف الخ فالواو للحال والطرف بسكون الراء هو البصر وقوله عنه أى عن ما حوى الغار وقوله عمى يحتمل جعله فعلا وجعله اسما وقد لبث النبى وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال وجاء الكفار حول الغار ينظرون فاعماهم الله تعالى قال أبو بكر نظرت الى اقدامهم فوق رؤسنا فقلت

يارسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لأبصرنا فقال ماظنك باثنين الله ثالثهما وفى التنزيل ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون مابالغار من ارم

(قوله فالصدق الخ) أى فذو الصدق الخ فهو على حذف مضاف أو يؤول الصدق بالصادق أو يجعل من باب المبالغة وقوله والصديق أى فى الغار ففيه الحذف من الثانى لدلالة الاول وقوله لم يرما بكسر الراء أى لم يبرحا وأصله لم يريما حذفت منه الياء تبعا لحذفها فى اسناده الى المفرد كما فى قولك زيد لم يرم فان أصله يريم حذفت منه الياء مع الجازم لالتقاء الساكنين وقوله وهم يقولون أى والحال انهم يقولون الخ والضمير راجع للكفار المعلومين من السياق وجملة قوله ما بالغار من ارم مقول القول وارم بفتح الهمزة وكسر الراء بمعنى أحد وهو مبتدا خبره الجار والمجرور قبله ومن زائدة وانما قالوا ذلك لكونهم رأوا حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على فمه فظنوا انهما ليسا فيه كما اشار اليه الناظم بالبيت بعد هذا وذلك انه تقدم رجل منهم فنظر حمامتين على فم الغار فقال ليس فى الغار شئ رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت انه ليس فيه أحد فقال رجل آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما اربكم بالغار أى وما حاجتكم به ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

(قوله ظنوا الحمام الخ) هذا البيت كالتعليل لما قبله كما علمت وقوله على خير البرية متعلق بقوله لم تنسج أو بقوله لم تحم وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الاول أو بالعكس وقوله لم تنسج بكسر السين وضمها راجع للعنكبوت وقوله ولم تحم بضم الحاء راجع للحمام ففيه لف ونشر مشوّش وسبب ظنهم ذلك ان هذين الحيوانين متى أحسا بالانسان فرّا منه

ولم

ولم يعلموا ان الله تعالى يحفظ من شاء من عباده بما شاء من خلقه

وقاية الله اغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأطم

(قوله وقاية الله الخ) أى حفظ الله لهما من الكفار اغناهما عن مضاعفة من الدروع بأن يلبس الشخص درعا فوق درع للحفظ من العدوّ أوان تنسج الدرع حلقتين وتلبس للحفظ من العدوّ فالمراد بالمضاعفة من الدروع ان يلبس الشخص درعا فوق درع وقيل ان تنسج الدرع حلقتين وقوله وعن عال من الأطم أى وأغنت عن عال من الحصون التى يتحصن فيها من العدوّ فالأطم بضم الهمزة والطاء بمعنى الحصون جمع أطمة وهى الحصن وفى هذا البيت اشارة الى قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا الآية

ماضامنى الدهر يوما واستجرت به * الا ونلت جوارا منه لم يضم

(قوله ماضامنى الدهر يوما الخ) هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها ماسامنى الدهر ضيما الخ والمعنى على الاوّل ماظلمنى الدهر فى يوم الخ وعلى الثانى ماأرادنى وقصدنى الدهر بظلم الخ وعلى كل فلا بدّ من تقدير مضاف أى أهل الدهر والا فالدهر لا يظلم ولا يريد الظلم وان جرت عادة العرب بنسبة الظلم اليه لوقوعه فيه وقوله واستجرت به أى طلبت منه ان يجيرنى من ذلك فالسين والتاء للطلب وقوله الا ونلت جوارا منه أى الا وأعطيت جوارا بكسر الجيم وضمها أى حمى وحفظا من الرسول وقوله لم يضم بالبناء للمجهول أى لم يحتقر بل يحترم قوله ماضامنى الخ هو والذى بعده فائدتهما انّ من كان مسجونا أوخائفا من سلطان وداوم على قراءتهما سبع عشرة مرة بعد كل صلاة فان الله يفرج عنه همه ويجعل له من أمره مخرجا فائدة

ولا التمست غنى الدارين من يده * الا استلمت الندى من خير مستلم

(قوله ولا التمست الخ) معطوف على قوله ماضامنى الدهر الخ والالتماس عند بعضهم اسم للطلب من المساوى والمراد منه هنا الطلب بخضوع

وذلة وقوله غنى الدارين أى دارى الدنيا والآخرة والغنى فى الاولى بالكفاية وفى الثانية بالسلامة من العذاب وقوله من يده أى من نعمته فالمراد من اليد هنا النعمة وقيل المراد منها الذات الكريمة وقوله الا استلمت أى الا أخذت فالمراد بالاستلام هنا الاخذ كما فى قولهم استلمت معروفه على سبيل التجوز لانه فى الاصل اللمس باليد أو الفم كما فى قولهم استلمت الحجر وقوله الندى بفتح النون مع القصر وهو العطاء والكرم وقوله من خير مستلم بفتح اللام أى من خير مستلم منه فصلته محذوفة والمستلم منه هو المأخوذ منه وانما كان صلى الله عليه وسلم خير مستلم منه لانه لا يرد سائله وبيده خير الدنيا والآخرة فان قيل اخباره عن نيل غنى الدنيا منه صلى الله عليه وسلم صحيح لانه مشاهد فى الحس بخلاف اخباره عن نيل غنى الآخرة منه صلى الله عليه وسلم فانه غير مشاهد فى الحس فكيف يصح اخباره عنه اجيب بانه مشاهد بقوة يقين الايمان وفى هذا البيت والذى قبله براعة المطلب وهى كما قاله الزنجانى فى كتاب المعيار أن يلوّح بالطلب بالفاظ عذبة خالية عن الاجحاف مقترنة بتعظيم الممدوح تشعر بما فى النفس دون كشفه وقيود هذا الحد كلها موجودة فى هذين البيتين

لا تنكر الوحى من رؤياه ان له * قلبا اذا نامت العينان لم ينم

(قوله لا تنكر الوحى الخ) هذا شروع فى مبدأ الوحى وقوله من رؤياه حال من الوحى ومن للابتداء أى لا تنكر الوحى حال كونه مبتدأ من رؤياه فى النوم فان بدء الوحى كان بالرؤيا الصالحة فى النوم وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وقوله ان له قلبا الخ تعليل لما قبله أى ان له صلى الله عليه وسلم قلبا له اليقظة الدائمة حتى اذا نامت عيناه الشريفتان لم ينم قلبه لانه مهبط الوحى وقد شق وطهر من التعلق بغير الله وملئ حكمة وانما فصارت اليقظة الدائمة من صفاته فحسن ان يخاطب ويتعلق به الوحى وقد ورد فى الصحيحين ان عينى تنامان ولا ينام قلبى لا يقال يشكل على ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم نام مع أصحابه

فى الوادى فلم يوقظهم الاحر الشمس لانا نقول نظر القلب انما هو فيما غاب عن الشاهد ومشاهدة طلوع الشمس من وظيفة العين وقد كانت اخذت حظها من النوم وهذا البيت والذى بعده فائدتهما الخفة من المرض من كتبهما فى صحيفة فخار ومحاهما بشراب العرق سوس وشربهما على الريق فانه يخف باذن الله تعالى .

وذاك حين بلوغ من نبوّته * فليس ينكر فيه حال محتلم

(قوله وذاك الخ) لما كان البيت المتقدم يوهم ان الوحى من رؤياه فى النوم دائم دفع ذلك بقوله وذاك الخ واسم الاشارة راجع للوحى من رؤياه فى النوم وقوله حين بلوغ من نبوّته أى حين وصول الى نبوّته فالبلوغ بمعنى الوصول ومن بمعنى الى والمعنى والوحى من رؤياه فى النوم كائن وحاصل حين الوصول الى نبوّته وحكمة ذلك الاستئناس بملاقاة الملك فى النوم ليطيق ذلك فى اليقظة بعد اذلو جاءه فى اليقظة ابتداء لأمكن ان لا يطيق ملاقاته فلما استأنس بذلك أتاه فى اليقظة وقوله فليس الخ تفريع على قوله وذاك حين بلوغ الخ وينكر بالبناء للمفعول وحال محتلم نائب فاعل والضمير من قوله فيه للحين المذكور وفى بعض النسخ منه بدل فيه والضمير عليه للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد بحال المحتلم الوحى من رؤياه فى النوم لان المحتلم هو النائم وحاله ما يراه فى نومه والحاصل ان ذلك انما كان فى ابتداء النبوّة وقد نبئ على رأس أربعين سنة وذلك حد مبدأ النبوّة واذا كان كذلك فلا ينكر الوحى من رؤياه حينئذ وان كانت مرتبته صلى الله عليه وسلم اعلى المراتب وكان مقتضى ذلك ان لا يكون الوحى اليه فى النوم لان الوحى فى النوم ادنى من الوحى فى اليقظة

تبارك الله ما وحى بمكتسب * ولا نبى على غيب بمتهم

(قوله تبارك الله الخ) هذا البيت استدلال على ما قبله ومعنى تبارك الله تنزه الله وتعالى وارتفع عما يقوله الكافرون علوّا كبيرا وقوله ما وحى

بمكتسب أي ليس وحي وان قل بمكتسب لاحد بسعيه فيه بان يحصله
باسباب لان اكتساب الشئ تحصيله باسبابه التي جرت العادة الغالبة
بحصوله عقبها واذا لم يكن مكتسبا بل بتخصيص الله به من يشاء من عباده
فلا ينكر وقوعه في الرؤيا كما لا ينكر وقوعه في اليقظة فان فعل الفاعل
المختار لا يختص بحالة دون الاخرى فالذي عليه أهل الحق ان الوحي ليس
مكتسبا خلافا لزاعمي ذلك وهم الفلاسفة فانهم زعموا انه مكتسب
بالخلوة والرياضة وهو كفر صراح فيجب الايمان بان ذلك بمحض
فضل الله قال تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومثل الوحي الولاية
فليست مكتسبة أيضا بل بفضل الله يؤتيه من يشاء وقوله ولا نبي على
غيب بمتهم أي ولا نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بمتهم على اخبار
غيب أي على الاخبار بأمر غائب فهو على تقدير مضاف والغيب بمعنى
الغائب وهو صفة لموصوف محذوف وانما لم يكن النبي متهما على
الاخبار بالغيب لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من
الكذب كسائر المعاصي ولا يرد قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك ونحو ذلك لان ما يقع منهم من
باب حسنات الابرار سيئات المقربين فان المقرب أعلى درجة من البار
فاذا فعل البار حسنة يراها المقرب سيئة ومثلوا لذلك بما اذا تصدق البار
برغيف وأبقى عنده رغيفا آخر فان هذا حسنة عنده لكن يراها المقرب
سيئة لكون الأولى عنده ان يتصدق بالرغيفين معا وفي ذلك اشارة
الى قوله تعالى وما هو على الغيب بظنين أي بمتهم والى قوله تعالى وما ينطق
عن الهوى ان هو الا وحي يوحى والحاصل ان الانبياء معصومون من
الكبائر وصغائر الخسة باجماع ومن صغائر غير الخسة على ما عليه المحققون
والراجح انهم معصومون منها قبل النبوة وبعدها خلافا لمن جوزها عليهم
قبل النبوة ولما وقع منهم محامل فأما قصة آدم وهي انه أكل من الشجرة
وقد نهاه الله عنها فمحمولة على انه تأول النهي مع انه وان كان منهيا

الولاية مكتسبة

الانبياء معصومون كبائر

قصة آدم

ظاهرا

ظاهرا هو مأمور باطنا لحكمة يعلمها الله تعالى فهي معصية لا كالمعاصي وأما قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى نبينا أفضل الصلاة واتم التسليم هذا ربي فقد ذكره مجاراة لهم أي هذا ربي بزعمكم وغرضه بذلك التوصل لبطلانه بلزوم المحال ولذلك قال فلما افل قال لا احب الآفلين فكأنه قال لو كان ربا لما افل لكنه افل فليس برب وأما ما صدر من اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يرد لانه قد اختلف في نبوتهم فعلى القول بعدم نبوتهم لا اشكال وعلى القول بنبوتهم فيؤول ما صدر منهم بما أولت به قصة آدم وأما همّ يوسف بزليخا فهو أمر جبلي لا اختياري حتى يكون مذموما والرغبة في النساء محمودة اذ عدمها يدل على العنة وهي نقيصة ولما همّ يوسف بمقتضى الجبلة امتنع لكونه رأى برهان ربه وذلك معنى قوله تعالى وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه وأما قصة داود عليه الصلاة والسلام وهي انه خطر بباله انه ان مات وزيره في الحرب تزوج بزوجته لما علم من حسنها فأرسل الله اليه ملكين في صورة رجلين اختصما اليه الى آخر القصة المذكورة في سورة ص فلا ترد أيضا لان ما وقع منه ليس معصية لكنه غير لائق بمقامه ولذلك عوتب عليه وبكى حتى نبت العشب من دموعه وذكر بعض المفسرين ان جماعة من الناس حقيقة تسوّروا قصره ليقتلوه فلما رآهم خاف كما قال الله تعالى ففزع منهم وانما خاف لما تقرر في العرف من انه لا يتسوّر دور الملوك من غير اذنهم الا ذو ريبة فلما رأوه مستيقظا خافوا من فعلهم واخترعوا خصومة لا أصل لها زعما منهم انما قصدوه لاجلها دون ما توهمه ثم ادعى واحد منهم على الآخر كما أخبر الله تعالى فقال داود في الجواب لقد ظلمك بسؤال نعجتك الخ وحمل الآية على هذه القصة اولى لان الملائكة لا يظلم بعضهم على بعض فيكون كلامهم كذبا ويستحيل صدور الكذب من الملائكة اه من القسطلاني ببعض تغيير واختصار وهذا البيت والذي بعده فائدتهما الكتابة للمصروع بين عينيه والكتابة في خرقة زرقاء وتجعل فتيلة وتحرق

طرفها بالنار وتجعل تحت انف المصروع فتى حصل الدخان فى انف المصروع صاح فيخرج صارخا ويحى الذى بين عينيه فيذهب الصارع ولا يعود ابدا واذا خرج العارض فاكتب البيتين حرزا مع شئ من القرآن وعلقهما على المصاب فانك ترى العجب

كم أبرأت وصبا باللمس راحته * وأطلقت أربا من ربقة اللمم

(قوله كم ابرات الخ) أى كثيرا من المرات أبرأت الخ فكم خبرية بمعنى كثيرا ومميزها محذوف وقوله وصبا بكسر الصاد أى مريضا ويجوز فتح الصاد أى مرضا لكن على تقدير مضاف أى ذا مرض والاول اولى وهو مفعول لأبرأت وجعله بعضهم تمييزا لكم وجعل مفعول ابرات محذوفا وقوله باللمس أى بسبب اللمس وقوله راحته فاعل بابرأت واشار بذلك الى ماروى من أن عين قتادة اصيبت يوم احد ووقعت على وجنته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له ان لى امراة احبها وأخشى انها ان رأتنى على هذه الحالة قذرتنى وارتفع حبى من قلبها فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم عينه بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسها جمالا فكانت أحسن عينيه ومن ان محمد بن حاطب احترقت يده بالنار فجاء للنبى صلى الله عليه وسلم فمسح عليها فبرأت من ساعتها ومن ان شرحبيل الجعفى كانت بكفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فمازال يطحنها بكفه حتى لم يبق لها اثر وغير ذلك من وقائع كثيرة وقوله وأطلقت أى وحلت راحته وقوله أربا بفتح الهمزة وكسر الراء بوزن فرحا أى ذا أرب وحاجة وهى اعم من ان تكون عطاء أو شفاء أو خلوصا من اثم وبعضهم ضبطه بضم الهمزة وفتح الراء وفسره بالعقد وقوله من ربقة اللمم أى من عقدة الجنون فالربقة بكسر الراء وسكون الموحدة العقدة واللمم بفتح اللام الجنون وأصح تفسيره بالذنوب والمعاصى وفى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه تعلق الجنون أو الذنوب والمعاصى بالانسان بالحبل الذى فيه عرى تربط فيها اعناق

الغنم لئلا تذهب واستعير لفظ المشبه به وهو الربقة للمشبه وأشار بذلك الى ما روى من ان امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بابن لها به جنون فمسح بيده المباركة صدره فثع ثعة بالمثلثة والعين المهملة أي قاء قيئة فخرج من جوفه مثل الجرو الاسود وبرئ لوقته

واحيت السنة الشهباء دعوته * حتى حكت غرة في الاعصر الدهم

(قوله واحيت السنة الشهباء الخ) أي واخصبت السنة الشهباء الخ ففيه استعارة تصريحية تبعية لانه شبه الاخصاب بالاحياء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاحياء بمعنى الاخصاب أحيت بمعنى أخصبت أو استعارة بالكناية وتخييل لانه شبه السنة الشهباء بانسان ميت تشبيها مضمرا في النفس وحذف لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الاحياء ولا يخفى ان السنة مفعول مقدم ودعوته فاعل مؤخر والشهباء صفة للسنة وهي قليلة المطر سميت بذلك لانها تشبه الفرس الشهباء وهي التي يغلب بياضها على سوادها وانما اشبهتها الغلبة بياض الارض فيها لعدم النبات على سوادها بالنبات وقوله دعوته أي بالسقيا وقوله حتى حكت غرة في الاعصر الدهم غاية لقوله واحيت الخ وغرة بالنصب على انه مفعول لحكت وغرة كل شئ احسنه والاعصر جمع عصر وهو الزمن والدهم بضم الدال والهاء جمع ادهم وهو الاسود لسواد الارض فيه بالزرع شديد الخضرة حتى يرى انه اسود فتلك السنة كثر خصبها جدا حتى كأنها غرة في تلك الاعصر وأشار بذلك الى ما رواه الشيخان عن أنس ان رجلا دخل المسجد يوم جمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغثنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم أغثنا ثلاثا وما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة بفتح القاف والزاي أي قطعة سحاب فطلعت سحابة ثم أمطرت والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل في الجمعة الاخرى ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال يا رسول الله هلكت

الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا فرفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا الخ فأقلعت أى انكشفت وخرجنا نمشى فى الشمس وسئل أنس أهو الرجل الاول قال لا أدرى

بعارض جاد أو خلت البطاح بها * سيب من اليم أو سيل من العرم

(قوله بعارض الخ) أى احيت السنة الشهباء دعوته بعارض الخ فالجار والمجرور متعلق بأحيت ويصح تعلقه بحكت والمراد بالعارض السحاب الذى أرسله الله تعالى بسبب دعوته صلى الله عليه وسلم وقوله جاد أى جاد هذا العارض وهو السحاب بالمطر الكثير وفى قوله جاد نوع احتراس لان العارض قد يكون مهلكا وقد يكون الاحتراس فى قوله وأحيت وقوله أو خلت أى أو ظننت وأو بمعنى الواو وانما عبر بأو ليستقيم الوزن وبعضهم جعلها بمعنى الى فالمعنى الى ان ظننت كما فى قول الشاعر

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى * فما انقادت الآمال الا لصابر

فأو فيه بمعنى الى والمعنى الى ان ادرك المنى وقوله البطاح بالنصب على انه مفعول أول لقوله خلت وجملة قوله بها سيب من اليم أو سيل من العرم سدت مسد المفعول الثانى والبطاح جمع ابطح وهو الوادى المتسع الذى فيه دقاق الحصى والضمير فى قوله بها راجع للبطاح والسيب الجرى واليم البحر ومن الداخلة عليه ابتدائية والعرم بفتح العين وكسر الراء فى الاصل اسم لما يمسك الماء من بناء وغيره وهو أيضا اسم لواد ومن الداخلة عليه للابتداء وهذا مأخوذ من قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم أى سيل الوادى المسوك بالسد الذى بنته بلقيس وهو بناء عظيم محكم على ما ذكره أهل التفسير والتاريخ وانما خص اليم بالسيب والعرم بالسيل لان ماء اليم لكثرته يجرى فى الارض المنبطحة الى اسفل والى فوق وماء العرم غالبا انما يقع فى اعلا الارض فلا يجرى الا سائلا وأو الثانية للتخيير فالمعنى انت بالخيار فاما ان تشبه الماء الكائن على سطح الارض بسيب البحر واما ان تشبهه بسيل السد أو للتشكيك فالناظر يتشكك

في الماء الكثير الكائن على سطح الارض هل هو سيب من البحر أو سيل من السد

دعني ووصفي آيات له ظهرت * ظهور نار القرى ليلا على علم

(قوله دعني الخ) لما ذكر الناظم جملة من معجزاته صلى الله عليه وسلم قدر أن العدوّ المعاند والكافر الجاحد قال له كف عن ذكر هذه الآيات التي لا نسلمها فأجابه بقوله دعني الخ كانه يقول له كيف تنكرها ولا تسلمها وقد ظهرت ظهورا تاما وقوله ووصفي آيات أي ذكرى لها بالنظم أخذا مما يأتي وهو معطوف على الياء من دعني أو مفعول معه أي اتركني وذكرى آيات أو مع ذكرى آيات والمراد بالآيات المعجزات الدالة على نبوّته صلى الله عليه وسلم وهو مفعول لوصفي وقوله له متعلق بمحذوف صفة لآيات أي آيات كائنة له صلى الله عليه وسلم أو متعلق بقوله ظهرت الواقع صفة للآيات ووصفها بذلك كاشف لان الظهور لازم لكل آية من آياته صلى الله عليه وسلم ويصح ان يكون احترازا عما ثبت بالآحاد فكانه يقول للمنكر انا لا اصف الا ما لا يمكن انكاره لثبوته بالتواتر واما ما ثبت بالآحاد فلا لانه يمكن انكاره وقوله ظهرت ظهور نار القرى أي ظهرت ظهورا مثل ظهور نار القرى بكسر القاف الذي هو الضيافة وقوله ليلا ظرف لظهور نار القرى وقوله على علم أي على جبل وقد جرت عادة الكرام من العرب بايقاد تلك النار على الجبل ليهتدي الضيفان الى منازلهم والتنكير في الليل والعلم للنوعية أي ليلا حالكا أي شديد السواد على علم شامخ أي مرتفع أو للتعظيم

فالدر يزداد حسنا وهو منتظم * وليس ينقص قدرا غير منتظم

(قوله فالدر الخ) لما كان قد يقال اذا كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظهرت ظهور نار القرى ليلا على علم فما فائدة وصفك لها بهذا النظم أجاب بأنها وان كانت آياته صلى الله عليه وسلم ظاهرة ظهورا تاما يزداد ظهورها

بذكرها ويزداد حسنها بنظمها ولا ينقص قدرها منثورة لانه ذاتي لها فلا يفارقها سواء كانت نثرا أو نظما نعم ما يحصل من زيادة الالتذاذ بسماعها منظومة ينقص مع الاخبار بها منثورة لان مايزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف واستدل على ذلك بامر محسوس يدرك فيه ما ذكر بقوله فالدر الخ أي فالدر المعلوم حسنه وهو اللؤلؤ يزداد حسنا والحال انه منتظم في السلك لترتيبه وتنزيله في المنازل المتناسبة وليس ينقص قدرا حال كونه غير منتظم لان حسنه ذاتي له فلا يفارقه سواء كان منظوما أو غير منظوم نعم الحسن الحاصل عند نظمه لما يحصل له من الترتيب والتناسب ينقص عند عدم نظمه لما علمت من ان مايزيد بوصف ينقص بسلب ذلك الوصف وكل من قوله حسنا وقوله قدرا تمييز محول عن الفاعل والتقدير في الاول يزداد حسنه وفي الثاني وليس ينقص قدره وقد علم مما تقرر ان الواو في قوله وهو منتظم واو الحال وان قوله غير منتظم حال من فاعل ينقص وفائدة قوله وليس ينقص قدرا غير منتظم الاحتراس الرافع لما يتوهم من ان ازدياد الحسن بالنظم يوجب نقص القدر عند عدم النظم

فما تطاول آمالي المديح الى * ما فيه من كرم الاخلاق والشيم

(قوله فما تطاول الخ) لما كان قوله دعني ووصفي الخ قد يوهم ان آماله تطاولت بالمديح الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من الصفات دفع ذلك بقوله فما تطاول الخ والفاء عاطفة ويحتمل ان ما نافية وتطاول فعل ماض وآمالي فاعل والمديح منصوب بنزع الخافض والمعنى على هذا فلم تتطاول آمالي بالمديح الصادر مني الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم لعلمي باليأس من ذلك والعجز عما هنالك ويحتمل ان ما استفهامية فتكون للاستفهام الانكاري وهي مبتدأ وتطاول مصدر مرفوع على انه خبر ما الاستفهامية فانها مبتدأ كما علمت وآمالي مضاف اليه والمديح منصوب بنزع الخافض مثل ما مر على الوجه الاول والمعنى على هذا فما فائدة تطاول آمالي بالمديح الى تمام ما فيه صلى الله

عليه وسلم من كرم الاخلاق والشيم مع انها لا تتناهى وماذكرناه من ان المديح منصوب بنزع الخافض على النسخ التى فيها آمالى بالاضافة لياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين وفى بعض النسخ آمال بلا ياء وعليه شرح القسطلانى وجعل المديح مجرورا لانه مضاف اليه لكن على تقدير مضاف أى آمال صاحب المديح والتطاول فى الاصل مد العنق والآمال جمع أمل وهو الرجاء وقد شبه الآمال بذى عنق يتطاول أى يمد عنقه الى ما يريد ادراكه تشبيها مضمرا فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو التطاول ففى كلامه استعارة بالكناية وتخييل والمديح هو الثناء الحسن وقوله الى ما فيه أى الى استقصاء ما فيه صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بتطاول وقوله من كرم الاخلاق والشيم بيان لما فيه والاضافة فى ذلك من اضافة الصفة للموصوف أى من الاخلاق والشيم الكريمة والاخلاق جمع خلق بضمتين وهو الطبيعة والشيم بكسر الشين المشددة وفتح الياء جمع شيمة وهى الخلق بضمتين فعطف الشيم على الاخلاق من قبيل عطف المرادف وهو فى مقام المدح سائغ وأيضا قد يكون كرم الاخلاق عن استعمال وتكلف فرفع ذلك بقوله والشيم فهو احتراس فكأنه قال كرم اخلاقه صلى الله عليه وسلم من كرم طباعه لا بالاستعمال والتكلف لذلك من غير ان يكون طبيعة

فائدة وهذا البيت الى آخر قد تتكرر العين خاصيتها لمن كان لا يحسن العبادة ولمن كان ألكن لا تستقيم له حجة فليكتب هذه الابيات فى صحيفة بخار بماء ورد وزعفران ويمحها ويشربها عند ارادة النوم وقيامه من النوم فانه يصير فصيح اللسان وتقوى حجته ويرزقه الله القوة على العبادة باذن الله تعالى

آيات حق من الرحمن محدثة * قديمة صفة الموصوف بالقدم

(قوله آيات حق الخ) أى من معجزاته صلى الله عليه وسلم آيات حق الخ فآيات مبتدأ خبره مقدر قبله وهو الجار والمجرور واضافة آيات لحق من اضافة الموصوف للصفة أى آيات موصوفة بانها حق وجميع ما سيأتى

الى قوله فى البيت الثانى عشر وكالميزان معدلة صفات للآيات ومايقع
بين الصفات من متعلقاتها ومقصود المصنف بالذات مدح النبى صلى
الله عليه وسلم لكن لما ذكران من معجزاته صلى الله عليه وسلم الآيات
الحق التى هى القرآن استطرد بذكر صفاتها وقوله من الرحمن أى من عند
الرحمن لا من عند محمد كما زعمه كفار قريش وقوله محدثة أى أحدثها الله
تعالى كما جاء فى التنزيل قال تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث
الا كانوا عنه معرضين وقال تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث
الا استمعوه وهم يلعبون وفى بعض النسخ محكمة بدل محدثة وقد جاء بها
التنزيل أيضا قال تعالى كتاب احكمت آياته وقوله قديمة استشكل بانه
ينافى قوله محدثة على النسخة الاولى لان الشئ لا يكون محدثا وقديما معا
والا أدى الى اجتماع النقيضين وهو محال واجيب بانها محدثة باعتبار بازاء
الالفاظ قديمة باعتبار المعانى فهى محدثة قديمة باعتبارين لا باعتبار واحد
حتى يؤدى الى اجتماع النقيضين وهذا الجواب مبنى على ان الالفاظ
التى نقرأها تدل على الكلام القديم الذى هو صفة قائمة بذاته تعالى كما قاله
السنوسى وغيره من المتقدمين لكن ناقش فى ذلك العلامة ابن قاسم
واختار انها تدل على معنى مساو للمعنى الذى تدل عليه الصفة القديمة مثلا
أقيموا الصلاة يدل على طلب اقامة الصلاة وبحيث لو كشف عنا الحجاب
لفهمنا من الكلام القديم مثل هذا المعنى ويمكن ان يكون المراد ان هذه
الالفاظ تدل على الصفة القديمة بطريق اللزوم العرفى لا العقلى لانه يلزم
عرفا من أن تكون له تعالى كلام لفظى بمعنى انه خلقه فى اللوح المحفوظ
أن يكون له كلام نفسى فان كل من اسند له كلام لفظى لزم عرفا ان
يسند له كلام نفسى اذ هو يدل عليه كما قال الاخطل

ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وبهذا كله ظهر قوله صفة الموصوف بالقدم فليس المراد ان الالفاظ
التى نقرأها صفة للموصوف بالقدم الذى هو الله تعالى لانها حادثة بل

المراد

المراد ان معناها صفة له تعالى وهو مبنى على ما مر والا فمعنى الالفاظ التى نقرأها منه ما هو قديم كمدلول قوله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم ومنه ما هو حادث كمدلول قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فبعضه قديم وبعضه حادث وبالجملة ففى هذه المسئلة نزاع طويل والحاصل ان الالفاظ التى نقرأها لها دلالتان دلالة بالوضع وهى التى اعتبرها العلامة ابن قاسم فان المدلول بهذه الدلالة مساو للمدلول الذى تدل عليه الصفة القديمة ودلالة بالالتزام العرفى لا العقلى وهى التى اعتبرها السنوسى وغيره من المتقدمين فان المدلول بهذه الدلالة هو الصفة القديمة فكل من المسلكين صحيح كما فى حواشى الكبرى

لم تقترن بزمان وهى تخبرنا * عن المعاد وعن عاد وعن ارم

(قوله لم تقترن الخ) أى لانها قديمة من حيث معناها على ما فيه فدلولاتها قديمة على ما علمت والزمان حادث والقديم لا يقترن بالحادث لانه لو اقترن به لكان حادثا وقوله وهى أى هذه الآيات وقوله تخبرنا عن المعاد اى عن عود الخلق بعد انعدامهم فالمعاد بمعنى عود الخلق الى الله تعالى فى الدار الآخرة بعد انعدامهم فى دار الدنيا وذلك كقوله تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وقوله تعالى كما بدأنا أوّل خلق نعيده وقوله وعن عاد أى وتخبرنا عن قبيلة عاد التى بعث اليها هود عليه الصلاة والسلام وذلك كقوله تعالى حكاية عنهم يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك الآية وسميت هذه القبيلة باسم أبيها وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان عمره ألف سنة ومائتى سنة ورأى من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوّج ألف امرأة وكان كافرا يعبد القمر ثم انه يقال للاوّلين منهم عاد الاولى ولمن بعدهم عاد الاخرى ويقال لهم أيضا ارم تسمية لهم باسم جدهم ارم وقيل ان ارم اسم ارضهم وبلدتهم التى كانوا فيها وقيل انها مدينة بناها شداد بن عاد لبنة من فضة واخرى من ذهب فى صحن عدن لما سمع بذكر الجنة وما فيها وجعل فيها قصورا من الذهب والفضة وأساطينها أى

سميت عا

أعمدتها من الزبرجد والياقوت وجعل فيها انهارا مطردة واصنافا
من الشجر واتم بناءها في ثلثمائة سنة وعند كمالها ارتحل اليها بأهل مملكته
فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فاهلكتهم وقد اطنب المؤرخون في صفتها وهذا خلاصة خبرها وقوله
ومن ارم بكسر الهمزة وفتح الراء المهملة أي وتخبرنا عن ارم وذلك كقوله
تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
وقد عرفت ان ارم تسمى عادا الاخرى وارم في الآية عطف بيان على عاد
ايذانا بانهم غير عاد الاولى لكن قضية سياق الآية أن المراد بارم البلد
وهو احد الاقوال السابقة وانما كرر المصنف عن في الثلاثة لانها انواع
مختلفة فلا يحسن جمعها في واحد ولان لكل اخبارا تخصه وقيل كررها
للوزن وحسنه ان مقام المدح يحسن فيه الاطناب

دامت لدينا ففاقت كل معجزة * من النبيين اذ جاءت ولم تدم

(قوله دامت لدينا الخ) أي استمرت عندنا فتسبب عن ذلك انها فاقت
كل معجزة صادرة من النبيين غير نبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم وقوله
اذ جاءت ولم تدم تعليل لقوله ففاقت كل معجزة من النبيين أي اذ جاءت
عنهم ولم تستمر بل لم تظهر على ايديهم الا مرة واحدة وذلك حين التحدي
ثم لم تظهر بعد ذلك واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ما من نبي من
الانبياء الا وقد أوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي
اوتيت وحيا يتلى وهو باق على الدوام وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم
خاتم النبيين فشريعته باقية الى يوم الدين فناسب ان تكون معجزته
كذلك والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي وهو دعوى
النبوة أو الرسالة وهي مأخوذة من الاعجاز لانها تعجز الخصوم عن ان يأتوا
بمثلها وقد نظم بعضهم أقسام الخارق للعادة فقال

اذا ما رأيت الامر يخرق عادة * فمعجزة ان من نبي لنا صدر
وان بان منه قبل وصف نبوة * فالارهاص سمه تتبع القوم في الاثر

خارق العادة

وان

وان جاء يوما من ولى فانه * كرامة فى التحقيق عند ذوى النظر
وان كان من بعض العوام صدوره * فكنوه حقا بالمعونة واشتهر
ومن فاسق ان كان وفق مراده * يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
والا فيدعى بالاهانة عندهم * وقد تمت الاقسام عند الذى اختبر
وزاد بعضهم السحر وقيل انه غير خارق لانه معتاد عند تعاطى أسبابه

محكمات فاتبقين من شبه * لذى شقاق وماتبغين من حكم

(قوله محكمات الخ) أى والآيات المذكورة محكمات الخ ومعنى محكمات متقنات النظم فى البلاغة والفصاحة بحيث لا يقدر البشر على الاتيان بمثلها فدل ذلك على انها من عند الله قال تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وكلهم قد عجزوا عن معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله وقد كان كثير من الكفار يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه أو ان معنى محكمات ذوات حكمة ويصح فيها فتح الكاف لان الله أحكمها أى أتى بها ذات حكمة وكسرها لانها دالة على الحكمة قال تعالى يس والقرآن الحكيم قال الزمخشرى أى ذى الحكمة لانه ناطق بها وقد كان كثير من الكفار يسلم بمجرد سماع ما يتضمن المعانى الكثيرة من بعض آيات القرآن فى ألفاظ قليلة كما كان كثير منهم يسلم لما يدرك من فصاحة ألفاظه لان مثل ذلك لا يمكن أن يكون من كلام البشر وقوله فاتبقين من شبه لذى شقاق بضم التاء من تبقين لانه من أبقى أى فما تترك تلك الآيات المحكمات شبها لصاحب شقاق وهو الكافر لانه مشاق الدين اذ هو فى شق والاسلام فى شق بل تزيلها فمن زائدة فى المفعول والشبه جمع شبهة وهى ما يظن دليلا وليست بدليل وان شئت قلت كلام مزخرف الظاهر فاسد الباطن والشقاق المخالفة للحق والحاصل ان الكافر اذا ادعى امرا مخالفا للحق وأقام عليه شبها كان القرآن هادما لتلك الشبه ومزيلا لها لما تضمنه من الحكم والفوائد وانما قال من شبه بصيغة الجمع ولم يقل من شبهة بصيغة

المفرد وان كان المقرر ان عموم المفرد اشمل فانه اذا انتفى الواحد انتفى الجنس كله جمعه ومفرده بخلاف نفي الجمع فانه لا يستلزم نفي الواحد تنبيها على ان طرق الباطل شتى فكأنه يقول ان هذه الآيات لا تبقين شيئا من أنواع الشبه الكثيرة المختلفة الانواع فما من أحد تعرض له شبهة الا ويجد شفاء منها في القرآن فانه الشفاء من كل داء والنجاة عند تفرق الادواء وقوله وما تبغين من حكم بفتح التاء من تبغين أي ولا تطلبن حكما بفتحتين يعني حاكما يحكم على ذلك المخالف للحق بأنه على خلاف الصواب لظهور براهينها عليه فمن زائدة في المفعول كالتي قبلها فهي زائدة في الموضعين كما ان ما نافية في الموضعين

ما حوربت قط الاعاد من حرب * أعدى الاعادي اليها ملقي السلم

(قوله ما حوربت الخ) أي ما حورب الآتي بها وهو النبي صلى الله عليه وسلم في الزمن الماضي الا كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الغالب ورجع أشد الاعادي عداوة اليها ملقي السلاح وسلم له صلى الله عليه وسلم اما بدخوله في الاسلام واما بتركه المحاربة من أجل شدة بلاغتها فاسناد المحاربة اليها مجاز لان المحارب الآتي بها لا هي ويحتمل أن المراد بالمحاربة المعارضة فيكون المعنى ما عورضت في الزمن الماضي بأن أراد أحد ان يأتي بمثلها بحسب ظنه الا عجز وعاد اليها أشد الاعادي عداوة مستسلما منقادا من أجل شدة بلاغتها فقد شبه المعارضة بالمحاربة بجامع عدم الانقياد في كل واستعار المحاربة للمعارضة واشتق منها حوربت بمعنى عورضت على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وقط ظرف بمعنى الزمن الماضي وعاد من اخوات كان فترفع الاسم وتنصب الخبر فاعدى الاعادي اسمها وملقي السلم خبرها واليها متعلق بعاد وكذا قوله من حرب ومن فيه للتعليل فهي بمعنى من أجل وذكر بعضهم انها للابتداء وحقيقة الحرب بفتحتين سلب المال لكن المراد به هنا الشدة أي شدة بلاغتها مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم وارادة اللازم لانه يلزم من سلب المال

الشدة ويحتمل أن المراد به سلب الحجة التي هي كالمال لان الشخص يخاف على حجته أن تدحض وتضمحل فيفتضح كما يخاف على ماله ومعنى أعدى الاعادى أشد الاعادى عداوة والاعادى جمع أعداء وهو جمع عدو فالاعادى جمع الجمع ومعنى السلم بفتحتين السلاح أو الاستسلام والانقياد وفي التنزيل وألقوا اليكم السلم أى الاستسلام والانقياد

ردت بلاغتها دعوى معارضها * ردّ الغيور يد الجاني عن الحرم

(قوله ردت بلاغتها الخ) أى أبطلت بلاغتها دعوى معارضها الاتيان بمثلها ابطالا مبالغا فيه فاذا ادّعى المعارض الاتيان بمثلها في ظنه أبطلت بلاغتها دعواه كما وقع لمسيلمة الكذاب حيث عارض القرآن لما ادّعى النبوّة وأراد أن يأتي بقرآن يشبه القرآن فقال في معارضة سورة النازعات والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا فافتضح لا بارك الله فيه والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال مع الفصاحة التي هي الخلو من الحشو والتعقيد والغرابة وقوله ردّ الغيور أى ردا مثل رد الشخص الغيور الذى هو شديد الغيرة على النساء والاضافة في ذلك من اضافة المصدر لفاعله وقوله يد الجاني مفعول للمصدر الذى هو الرد وقوله عن الحرم متعلق بالمصدر المذكور والحرم بضم الحاء المهملة وفتح الراء جمع حرمة فكونه غيورا يقتضى أن يرد ويدفع يد الجاني عنهن وان لم يكن من محارمه بمقتضى طبعه فكيف برده يد الجاني عن حرمه هو كامرأته وأخته وغيرهما فرده عنها أشد من رده عن غيرها وظاهر كلام المصنف ان اعجاز القرآن للبشر عن الاتيان بمثله بسبب ما اشتمل عليه من البلاغة التي لم يصلوا اليها وعلى ذلك فالقرآن ليس من جنس مقدورهم وهو قول الجمهور والقول الثاني انه من جنس مقدورهم لكن الله تعالى صرفهم عن الاتيان بمثله ولذلك يسمى بقول الصرفة وهو أدخل في الاعجاز لان عجزهم عما هو من جنس مقدورهم أدخل في قيام الحجة عليهم من عجزهم عما هو ليس من جنس مقدورهم لكن يلزم عليه ان اعجاز القرآن ليس

بنفسه بل بالصرفة فيكون غير معجز بنفسه فالحق القول الاول

لها معان كموج البحر في مدد * وفوق جوهره في الحسن والقيم

(قوله لها معان الخ) أي لتلك الآيات معان كثيرة لانهاية لها بل يمد بعضها بعضا كما أشار اليه بقوله كموج البحر في مدد أي مثل موج البحر في كونه يمد بعضه بعضا اذ ما من موجة الا و بعدها موجة وهكذا وأشار بذلك الى قول بعضهم أقل ما قيل في العلوم التي في القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم وما حكي عن بعضهم من انه قال لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وقول علي كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير الفاتحة قال بعض العارفين ويظهر وجه ما قاله رضي الله عنه من خمسة كنوز الاول معنى الحمد لله رب العالمين فيحتاج فيه الى بيان معنى الحمد وما يتعلق به ومعنى لفظ الجلالة وما يليق به من التنزيه ومعنى الرب ومعنى العالم على جميع أنواعه وأعداده الثاني معنى الرحمن الرحيم فيحتاج فيه الى بيان معنى هذين الاسمين وما يليق بهما من الجلالة وحكمة اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين فيحتاج في ضمن ذلك الى بيان جميع الاسماء الثالث معنى مالك يوم الدين فيحتاج الى بيان هذا اليوم وما فيه من المواطن والاهوال الرابع معنى اياك نعبد واياك نستعين فيحتاج فيه الى بيان المعبود وجلاله والعبادة وكيفيتها وصفاتها وأدائها على اختلاف أنواعها والعابد وصفته والاستعانة وكيفيتها الخامس معنى اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة فيحتاج فيه الى بيان الهداية وأنواعها والصراط المستقيم وعقباته وصراط المنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وقوله وفوق جوهره في الحسن والقيم عطف على قوله كموج البحر في مدد أي ولها معان فوق الجوهر المستخرج من البحر في حسنها البديع وفي قدرها وشرفها وفوق ملازم للنصب على الظرفية وان كانت مجازية ونحوه في التنزيل قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم والضمير

القرآن

فى جوهره للبحر والمراد بجوهره الدر المستخرج منه والحسن ضد القبح والقيم بكسر القاف وفتح الياء جمع قيمة والمراد بها هنا مالها من القدر والشرف مجازا لانها فى الاصل ما قطع به المقومون وبذلك اندفع ما قد يقال ان معانيها قديمة على ما تقدم والقديم لا يوصف بأن له قيمة ووجه الاندفاع ان المراد بالقيمة القدر والشرف لا المعنى الاصلى وفى هذا البيت الجمع ثم التفريق وهو ان يدخل شيئين فى معنى واحد ثم يفرق بينهما فقد أدخل هنا معانى القرآن والبحر فى المدد والكثرة ثم فرق بينهما بأن حسنها وقدرها يزيدان على حسن جوهره وقيمه

فلا تعد ولا تحصى عجائبها * ولا تسام على الاكثار بالسأم

(قوله فلا تعد ولا تحصى الخ) هذا البيت مفرع على البيت قبله فالشطر الاول مفرع على الشطر الاول والثانى على الثانى وقوله عجائبها أى معانيها العجيبة والعجائب جمع عجيبة وهى الشئ العديم النظير أو قليله وقوله ولا تسام بضم التاء وفتح السين المهملة بعدها الف لينة وفى آخره ميم أى لا توصف وقوله على الاكثار أى مع الاكثار منها الذى لا غاية له فعلى بمعنى مع وقوله بالسأم بتشديد السين المهملة وفتح الهمزة أى الملل والجار والمجرور متعلق بتسام وحاصل المعنى انه اذا كان لها معان كموج البحر فى الكثرة التى لا غاية لها وفوق جوهره فى الحسن والقدر والشرف ترتب على ذلك انها لا تعد ولا تحصى معانيها العجيبة لعدم تناهيها ولا توصف بالملل مع الاكثار منها لحسنها فغيرها من الكلام ولو بلغ الغاية فيما يليق به من الحسن والبلاغة يوصف بالملل مع الاكثار منه فيمل مع التردد يدو يعادى اذا اعيد بخلاف آيات القرآن كما ورد فى الحديث فقارئها لا يملها وسامعها لا يمجها بل الاكباب على تلاوتها يزيدها حلاوة ويوجب لها محبة وطلاوة

قرت بها عين قاريها فقلت له * لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم

(قوله قرت بها الخ) أى سكنت واطمأنت بتلك الآيات عين قاريها

بابدال الهمزة ياء ساكنة لحصول السرور لها فان عين الحزين تكون مضطربة وعين المسرور تكون ساكنة فقرت من القرار بمعنى السكون وقيل من القر بضم القاف وهو البرد والمعنى عليه بردت بدمعة الفرح ولم تسخن بدمعة الحزن عين قارئها والضمير المضاف اليه عائد على الآيات التي هي الالفاظ ان فسر قارئها بتاليها فان فسر بقاصدها من قرأت اليه أي قصدت اليه كان الضمير المذكور عائدا على المعاني وقوله فقلت له أي فلما قرت عينه بقراءة الفاظها أو بقصد معانيها قلت لقارئها بمعنى تاليها أو قاصدها وقوله لقد ظفرت بحبل الله فاعتصم أي والله لقد فزت بما يوصلك الى الله فامتنع ببركة قراءته من عذاب الله أو امتنع باتباع أوامره واجتناب نواهيه من الوقوع في المخالفة المؤدية الى عقاب الله تعالى نعوذ بالله من المخالفة فاللام موطئة للقسم وقد للتحقيق والحبل استعارة تصريحية مرشحة لانه شبه القرآن بالحبل بجامع ان كلا سبب يتوصل به الى الاشياء فالقرآن يتوصل به الى ثوابه والحبل يتوصل به الى أمور محسوسة واستعار اسم المشبه به للمشبه وذكر الاعتصام ترشيح لانه يناسب المستعار منه وكذلك قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة تصريحية مرشحة لانه شبه فيه الايمان بالعروة واستعيرت العروة للايمان والاستمساك ترشيح لانه يناسب المستعار منه

ان تتلها خيفة من حر نار لظى * اطفأت نار لظى من وردها الشبم

(قوله ان تتلها الخ) أي ان تقرأها الخ وقوله خيفة أي خوفا فيكون مفعولا لاجله أو خائفا فيكون حالا وقوله من حر نار لظى أي التي هي جهنم وقوله أطفأت الخ جواب الشرط وقوله نار لظى فيه اظهار في مقام الاضمار لضرورة النظم وقوله من وردها بكسر الواو وسكون الراء أي من موردها فمن للتعليل والورد بمعنى المورد وهو المحل الذي يورد منه الماء وقوله الشبم بفتح الشين المعجمة المشددة وكسر الموحدة أي البارد وفي الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الآيات بالماء تشبيها مضمرا في النفس

بجامع الحياة بكل اذ الماء به حياة الاشباح والآيات بها حياة الارواح أو بجامع اطفاء الحرارة بكل فالماء يطفىء حرارة العطش والآيات تطفىء حرارة نار جهنم أعاذنا الله منها بمنه وكرمه وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الورد والشم ترشيح لانه يناسب المشبه به وحاصل المعنى ان تقرأها خوفا من حر نار لظى أو خائفا منه اطفأت عنك بتلاوتها نار لظى من أجل موردها البارد والشاهد لذلك ما فى مسلم اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لاصحابه

كأنها الحوض تبيض الوجوه به * من العصاة وقد جاؤه كالحمم

(قوله كأنها الحوض الخ) أى كأن الآيات المذكورة ماء الحوض الخ ففيه مجاز بالحذف أو انه عبر باسم المحل وأراد الحال به فيكون فيه مجاز مرسل وجملة قوله تبيض الخ حال من الحوض على حذف المضاف السابق أو بمعنى انما على ما علمت وقوله الوجوه أى ذوو الوجوه فهو على تقدير مضاف أو انه عبر بالوجوه عن الذاوت من باب التعبير باسم الجزء وارادة الكل وقوله به أى بالحوض وقوله من العصاة أى حال كونهم بعض العصاة فمن للتبعيض ويحتمل انها بيانية وقوله وقد جاؤه الخ أى والحال انهم قد جاؤه الخ فالواو للحال والضمير الفاعل راجع للعصاة والضمير المفعول راجع للحوض وقوله كالحمم أى حال كونهم كالحمم بضم الحاء المهملة وفتح الميم الاولى أى مثل الفحم فالحمم جمع حممة بمعنى فحمة ووجه تشبيهها بالحوض المذكور أن الآيات تشفع فى تاليها وقد جاء مسود الوجه من المعاصى فيبيض وجهه بشفاعتها كما ان الحوض تبيض به وجوه العصاة حين يصب عليهم منه بعد مجيئهم من النار كالفحم فى السواد الذى أصابهم من النار فيعودون بيضا كالقراطيس ثم يدخلون الجنة ومراده بالحوض نهر الحياة لان تلك صفته لما فى الخبر من اغتسال الجهنميين فى بحر الحياة ففى خبر الصحيحين فيخرجون منها أى من النار فيلقون فى ماء الحياة وفى رواية فيصب عليهم ماء الحياة وفى هذا البيت

التلميح للخبر السابق

وكالصراط وكالميزان معدلة * فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم

(قوله وكالصراط الخ) أى وهذه الآيات كالصراط استقامة وانما حذف ذلك اعنى استقامة لدلالة المعنى عليه والمراد بالصراط الدين الذى لا اعوجاج فيه وهو دين الحق أو المراد به الجسر الممدود على متن جهنم الذى هو ادق من الشعرة واحد من السيف أو واسع فى حق ناس ضيق فى حق آخرين على الخلاف فى ذلك يسير الناس عليه الى الجنة على قدر أعمالهم فانه خط مستقيم لا اعوجاج فيه بالنسبة لكل بعض من ابعاضه الثلاثة لا بالنسبة لجملته لانه قد ورد انه ألف سنة صعود وألف سنة استواء وألف سنة هبوط وقوله وكالميزان معدلة أى وكالميزان من جهة العدل فعدلة بمعنى عدلا تمييز فان قيل ليس من لوازم الميزان العدل أجيب بأن أل فى الميزان للعهد والمعهود هو الميزان الذى يكون فى يوم القيامة ومن لوازمه العدل أو المعهود هو الميزان المستقيم ولو كان فى الدنيا وليست للاستغراق فيشمل كل ميزان وقوله فالقسط من غيرها فى الناس لم يقم أى فالقسط بكسر القاف الذى هو العدل المأخوذ من غيرها لم يقم فى الناس فان قيل العدل المأخوذ من غيرها قد يقوم فى الناس كالمأخوذ من السنة أو الاجماع أو القياس أجيب بأن ذلك مأخوذ منها أيضا اما المأخوذ من السنة فلقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وأما المأخوذ من الاجماع والقياس فلان مستندهما الكتاب والسنة والمراد بالناس الخصوص والالزم أن لا يكون فى أهل التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية عدل وهو باطل

لا تعجبن لحسود راح ينكرها * تجاهلا وهو عين الحاذق الفهم

قوله لا تعجبن الخ) لما وصف الآيات بما ذكره استشعر شخصا قال له على وجه التعجب اذا كانت الايات بالمنزلة التى وصفت فكيف أنكرها

كثير من الكفار فقال له لا تعجبن الخ أى لا ينبغى العجب لانه اذا ظهر السبب بطل العجب وها هنا قد ظهر السبب وهو الحسد فانه هو الذى دعاه الى انكارها تجاهلا واظهار التجهل مع علمه فى الواقع بما اشتملت عليه من أنواع الاعجاز وقوله لحسود متعلق بتعجبن ومعنى الحسود ذو الحسد وقوله راح ينكرها أى ذهب ينكر كونها من عند الله وأصل راح سار بالعشى ثم استعمل فى الذهاب والمراد انه أنكر ما اتضحت دلالته حتى صار كالاشياء المحسوسة بحاسة البصر فى نصف النهار الذى هو أول وقت الرواح وقوله تجاهلا أى حال كونه متجاهلا أى مظهرا للجهل فانكاره ليس لجهله حقيقة بل لحسده وان كان قد أظهر الجهل وقوله وهو عين الحاذق الفهم أى والحال انه عين الحاذق بالذال المعجمة أى الماهر الفهم بفتح الفاء وكسر الهاء أى الشديد الفهم وحينئذ فانكارها عناد دعاه اليه الحسد فلا عجب لانكارها للحسد وأشار بقوله الفهم الى أن حذقه ليس ناشئا عن طول التجارب والتكرار لكونه كان بليد الطبع بل حذقه مع كونه فاهما بالاصالة ولاشك أنه يحصل بالتمرين مع كونه فاهما بحسب الاصالة ما لا يحصل مع كونه بليدا بحسب الاصالة وبهذا التقرير يظهر ان الفهم ليس معناه الحاذق كما زعم بعضهم

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

(قوله قد تنكر الخ) لما ادعى ان انكارها للحسد مع كونها متصفة بالمعجزات المذكورة أثبت ذلك بأمرين محسوسين الاول انكار العين ضوء الشمس من أجل الرمد القائم بها والثانى انكار الفم طعم الماء من أجل السقم القائم به فكذلك انكار الآيات من أجل الحسد القائم بالمنكر فهاتان الجملتان مسوقتان للتعليل وكلامه على حذف مضاف فيهما والتقدير قد ينكر ذو العين الخ وقد ينكر ذو الفم الخ لان المنكر فى الحقيقة انما هو صاحب كل منهما

يا خير من يمم العافون ساحته * سعيا وفوق متون الاينق الرسم

(قوله يا خير من يمم الخ) لما مدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه به مخبرا عنه على وجه الغيبة أقبل عليه بالخطاب فقال يا خير من يمم الخ أى يا خير كريم قصد العافون وهم الطالبون للمعروف ساحته وهى حريم داره الواسع حال كونهم ساعين بمعنى مسرعين فى المشى ليحصلوا حاجتهم أقرب وقت وحال كونهم راكبين فوق ظهور النوق التى ترسم الارض وتؤثر فيها لحصول الحاجة سريعا وقصده بذلك الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم والتوطئة لذكر صفاته والعافون جمع عاف وهو طالب المعروف والساحة حريم الدار الواسع وسعيا بمعنى ساعين والمتون جمع متن وهو الظهر والاينق جمع ناقة وأصله أنوق قدمت الواو على النون فصار أونق ثم قلبوها ياء فصار أينق وهذا جمع قلة وجمع الكثرة نياق والرسم بضم الراء المشددة وضم السين جمع رسوم وهى الناقة التى تؤثر فى الارض من شدة الوطء عليها ومن هنا الى آخر قوله وحل مقدار الخ خاصيتها لمن خاف أن يلومه السلطان على جناية وقعت منه فليكتبها فى جلد جمل ويجعله منشورا على صدره تحت الثياب ويدخل على السلطان وهو يقول الله أكبر ثلاثا فانه لا يكلمه أبدا ومن وقع بينه وبين زوجته خصومة أو بين أحد من أحبابه فليكتبها فى جلد أسد ويجعلها فى كور عمامته ويدخل على حبيبه وهو صامت فان حبيبه يبدأه بالكلام ويكون محبا له واياك أن تفعل هذا للحرام فاتق الله

ومن هو الآية الكبرى لمعتبر * ومن هو النعمة العظمى لمغتنم

(قوله ومن هو الخ) أى ويا من هو الخ فهو معطوف على المنادى فى البيت قبله واجاز بعضهم أن يكون معطوفا على من فى قوله يا خير من الخ والاول هو الظاهر وعليه فمن هنا واقعة عليه صلى الله عليه وسلم وحده بخلافه على الثانى فانها عليه واقعة على جنس متعدد يشمل النبيين والملائكة وقوله الآية الكبرى لمعتبر أى الآية الكبرى التى هى أكبر الآيات لمتأمل ومتفكر لانه صلى الله عليه وسلم بعث بالسنن التى لا تحصى وبالعلوم التى

لا تستقصى الى قوم مغمورين فى الجهالة والضلالة قد بلغ من جهلهم وضلالهم أن يعبدوا الاصنام فدلهم على الله وأرشدهم الى ما لا ينال الا بتخصيص من المولى الوهاب فمن تأمل ذلك عرف أنه الآية الكبرى أى الدليل الاعظم على أن ما جاء به حق قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وقوله ومن هوالخ أى ويا من هوالخ فهو معطوف على المنادى فى البيت قبله ويحتمل أنه معطوف على من على ما قاله بعضهم كما علمت فى نظيره وقوله النعمة العظمى لمغتنم أى النعمة العظمى التى هى أعظم النعم للمريد أن يغتنم ما عند الله من السعادة الابدية لانه صلى الله عليه وسلم أنقذ الخلائق من النار ومن الدخول فى دار البوار بالبيان الواضح والبرهان الناصح فمن أراد أن يغتنم فهو صلى الله عليه وسلم النعمة العظمى له ولسائر العالمين قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين

سريت من حرم ليلا الى حرم * كما سار البدر فى داج من الظلم

(قوله سريت الخ) كأنه قال ومن معجزاتك انك سريت الخ ومعنى سريت سرت ليلا لان السرى هو السير ليلا وسرى وأسرى بمعنى وقال السهيلى سرى لازم وأسرى متعد لكن كثر حذف مفعوله فظن أهل اللغة أنهما بمعنى فالمفعول فى قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده محذوف والتقدير أسرى البراق بعبده فحذف المفعول استغناء عنه بذكر محمد صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالخبر أو حذف لقوة الدلالة عليه وقوله من حرم أى حرم مكة وقوله ليلا أى فى ليل فان قيل اذا كان معنى سريت سرت ليلا ومعنى أسرى بعبده جعله ساريا أى سائرا ليلا فما فائدة قوله بعد ذلك ليلا أجيب بان فائدته فى النظم والآية التأكيد كما قاله الجوهرى أو الاعلام بانه فى جزء من الليل كما قاله الزمخشرى بقرينة تنكيره لانه للتقليل ولو لم يذكر لاحتمل أن يكون ذلك فى الليل كله وليس كذلك قال الزمخشرى ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أى بعضه وانما خص الليل بذلك دون النهار لانه وقت تفريغ البال وقطع العلائق وقيل لان الله تعالى

لما محا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فجبر بأن أسرى فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل لا تفتخر فان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج بشمس الارض فى الليل الى السماء وقيل لانه سراج والسراج انما يوقد فى الليل وقيل لانه سمى بدرا فى قوله تعالى طه فان الطاء بتسعة والهاء بخمسة وذلك أربعة عشر فكأنه تعالى قال يا بدر وهذا ناسب قول الناظم كما سرى البدر ولله در القائل حيث قال

قلت يا سيدى ولم تؤثر الليـــل على بهجة النهار المنير

قال لا استطيع تغيير رسمى * هكذا الرسم فى طلوع البدور

انما زرت فى الظلام لكيما * يشرق الليل من أشعة نورى

وقوله الى حرم أى حرم بيت المقدس وقوله كما سرى البدر أى مثل سير البدر الذى هو القمر ليلة كماله وهى ليلة أربعة عشر سمى بذلك لانه يبدر الشمس فى الطلوع ووجه التشبيه أنه صلى الله عليه وسلم نور مبين كالبدر وأتم وقد قطع مسافة عظيمة فى ليل مظلم كما يسرى البدر المنير فى ليل مظلم مع سرعة السير وكمال الانارة والداج اسم لليل المظلم يقال دجى الليل أى أظلم فهو داج أى مظلم فقوله من الظلم تكملة أى من ذى الظلم بضم الظاء وفتح اللام جمع ظلمة ومن للبيان المشوب بالتبعيض وفى هذا البيت اشارة الى قصة الاسراء وقد ذكرها الله تعالى بقوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله وحاصلها أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بيته أو فى المسجد على اختلاف الروايات فى ذلك فجاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملاه وشقا صدره وغسله جبريل وملأه علما وحكمة وايمانا ويقينا ثم أتى له بالبراق فركبه وسار وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره حتى وصل الى بيت المقدس الخ

وبت ترقى الى أن نلت منزلة * من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم

(قوله وبت ترقى الخ) عطف على قوله سريت الخ أى وبعد وصولك الى بيت المقدس بت ترقى أى تصعد فانه صلى الله عليه وسلم نصب له معراج له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو الذى تعرج عليه أرواح المؤمنين فدليت له مرقاة فصعد عليها الى سماء الدنيا فاستفتح جبريل الباب فقيل من بالباب قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به وأهلا ونعم المجىء جاء فلما جاوز السماء الاولى دليت المرقاة الثانية فصعد عليها الى السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم الى الكرسى ثم الى سدرة المنتهى ثم الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام ثم دلى له الرفرف وهو سحابة خضراء فصعد عليها الى ماشاء الله تعالى وهذا المكان هو الذى أعده الله للخطاب وفرض الصلوات والا فالله تعالى منزه عن المكان وقوله الى أن نلت منزلة غاية لما قبله أى الى أن أعطيت مرتبة فى القرب وقوله من قاب قوسين بيان للمنزلة لكن فى العبارة قلب والاصل من قابى قوس أى من قدر مابين قابى القوس لان كل قوس له قابان وبينهما شىء قليل جدا فبينهما غاية القرب فكذلك بينه صلى الله عليه وسلم وبين المولى فبينهما غاية القرب لكن المراد هنا القرب المعنوى وقوله لم تدرك بالبناء للمجهول أى لم يدركها غيرك وقوله ولم ترم بالبناء للمجهول أيضا أى لم يرمها غيرك ولم يطلبها العلم بانها ليست الالك وفى هذا البيت اشارة الى قصة المعراج وقد ذكرها الله تعالى بقوله ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وقد علمت حاصلها

وقدمتك جميع الانبياء بها * والرسل تقديم مخدوم على خدم

(قوله وقدمتك الخ) عطف على قوله سريت الخ أيضا ثم انه يحتمل أن المراد التقديم فى الرتبة والمكانة كما يدل عليه قوله تقديم مخدوم على خدم وذلك لان الله قد أطلعهم على منزلته صلى الله عليه وسلم بالوحى فى مدة حياتهم كما يدل عليه قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية ويحتمل أن المراد التقديم فى الحس والخارج كما يدل عليه ماروى من أنه حشر له

جميع الانبياء والرسل ليلة الاسراء وصلى بهم في المسجد الاقصى بعد أن
أثنى كل على ربه بما هو أهله وكان صلى الله عليه وسلم آخرهم في ذلك فاثنى
على الله بما الهمه له فقال ابراهيم عند ذلك بهذا افضلكم محمد وذلك كان قبل
المعراج على المشهور ولا يخفى أن الكاف مفعول وجميع الانبياء فاعل
وألحق الفعل التاء لان جميع في معنى جماعة أو لاضافته الى جمع التكسير
الذي يجوز تأنيثه وقوله جميع الانبياء بالمد وقوله بها أي بتلك المنزلة أو
الليلة المفهومة من قوله ليلا وقوله والرسل أي وجميع الرسل فهو بالجر
معطوف على الانبياء ويحتمل انه بالرفع معطوف على جميع وعلى الاول
فهو صريح في العموم وعلى الثاني فهو ظاهر فيه وهل كانت الانبياء
والرسل باجسامهم وأرواحهم أو بارواحهم فقط والراجح أنهم كانوا
أرواحهم
بارواحهم فقط الا عيسى وادريس فانهما كانا بروحهما وجسمهما
وبعضهم رجح أن الانبياء جميعا كانوا باجسامهم وأرواحهم وعطف
الرسل على الانبياء من عطف الخاص على العام كما هو المشهور لشرفهم
وقوله تقديم مخدوم على خدم أي تقديما مثل تقديم مخدوم على خدم فهو
بالنصب على المصدرية لكن على وجه التشبيه

وأنت تخترق السبع الطباق بهم * في موكب كنت فيه صاحب العلم

(قوله وأنت تخترق الخ) أي وقدمتك جميع الانبياء والحال أنك تخترق
بمعنى تقطع السموات السبع الطباق أي التي هي طبقة فوق طبقة فالواو
للحال لكنها حال منتظرة لا مقارنة ووصف السموات بانها طباق
مأخوذ من قوله تعالى سبع سموات طباقا أي طبقة فوق طبقة وقوله بهم
أي حال كونك مارا بهم يعني بالذي لقيه منهم ففي حديث الاسراء
في مسلم أنه مر في السماء الدنيا بآدم وفي الثانية بعيسى ويحيى وفي الثالثة
بيوسف وفي الرابعة بادريس وفي الخامسة بهارون وفي السادسة بموسى
وفي السابعة بابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقوله في موكب
بكسر الكاف أي حال كونك في موكب فهو حال أو هو خبر ثان لانت

والموكب الجمع العظيم المتلبس بهيئة عظيمة وقد كان معه صلى الله عليه وسلم جبريل وما أعظمهما وأعظم هيئتهما وجملة كنت فيه صاحب العلم صفة لموكب أى كنت فيه المشار اليه لان العلم الرمح فى رأسه راية ومن شان صاحبه أن يشار اليه وهو المراد فاطلق اسم الملزوم وأريد اللازم أو المعنى على التشبيه وكان جبريل يستفتح فى كل سماء فيقال له ومن معك فيقول محمد كما تقدم وهذا يدل على أنه صلى الله عليه وسلم هو المشار اليه فى ذلك الموكب

حتى اذا لم تدع شأوا لمستبق * من الدنو ولا مرقى لمستنم

(قوله حتى اذا الخ) غاية لقوله وأنت تخترق الخ واذا ظرفية مجازية أى الى مقام للقرب وقوله لم تدع شأوا لمستبق أى لم تترك غاية لطالب سبق فلم تدع بمعنى لم تترك وشأوا بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وفى آخره واو أى غاية والمستبق طالب السبق وهو الساعى ليسبق والجار والمجرور متعلق بشأوا وقوله من الدنو بيان للشأو أى من القرب وقوله ولا مرقى لمستنم أى ولم تدع مرقى لمستنم والمرقى محل الرقى وهو الدرجة والمستنم طالب الرفعة وهو الساعى ليرتفع والجار والمجرور متعلق بمرقى وحاصل المعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يزل يصعد الى مقام للقرب فلم يترك فيه غاية من القرب لطالب السبق ولم يترك درجة لطالب رفعة وذلك المقام هو أعلى مقامات القرب وهو المعبر عنه فيما تقدم بقاب قوسين

خفضت كل مقام بالاضافة اذ * نوديت بالرفع مثل المفرد العلم

(قوله خفضت كل مقام الخ) هذا البيت جواب اذا فى البيت قبله أى خفضت كل رتبة لغيرك وقوله بالاضافة أى بالنسبة الى مقامك لا مطلقا والا فالانبياء كلهم متصفون بالكمال لكنه صلى الله عليه وسلم أكمل فمقام غيره منخفض بالنسبة لمقامه المرتفع عن مقام كل مخلوق وان كان ذلك المقام المنخفض مرتفعا فى نفسه وانما انخفض بالنسبة لمقامه صلى

الله عليه وسلم وإياك أن تعتقد أن غيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء ليس متصفا بالكمال لان ذلك كفر فالواجب عليك أن تعتقد أنهم متصفون بالكمال لكن نبينا أكمل وقوله اذ نوديت بالرفع أى لانك نوديت من قبل الله تعالى نداء مصحوبا برفع شانك الى مالم يصل له أحد غيرك وهو أعلى مقامات القرب فاذ للتعليل وقيل ظرف للزمان الماضى وقوله مثل المفرد العلم أى حال كونك مماثلا للمفرد العلم من حيث الاختصاص بكونه نودى نداء مصحوبا برفع لفظه فكما أن المفرد العلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين أقسام المنادى فان ما عداه منها منصوب كذلك صلى الله عليه وسلم خص بكونه نودى نداء مصحوبا بالرفع من بين سائر الانبياء فان ما عداه منهم مخفوض المقام بالنسبة لمقامه صلى الله عليه وسلم فان قيل المفرد العلم انما نودى بالبناء على الضم لا بالرفع حتى يتم التشبيه أجيب بان البناء على الضم رفع فى المعنى والمراد بالمفرد العلم المعرفة من اطلاق الخاص وارادة العام لان النكرة المقصودة من أقسام المعرفة عند المحققين فانها تتعرف بالقصد والاقبال عليه كالمشار اليه وذلك كما فى قولك مقبلا على رجل مخصوص يا رجل فالمقصود رجل معين لا شائع فى جنسه والظاهر أن التشبيه بالمفرد العلم انما هو فى النداء بالرفع خاصة لا فى خفض مقامات غيره

كيما تفوز بوصل أى مستتر * عن العيون وسر أى مكتتم

(قوله كيما تفوز الخ) أى لكيما تفوز الخ فاللام مقدرة قبل كى فتكون مصدرية وعلى هذا فكى هى الناصبة للفعل بنفسها ويحتمل أن اللام ليست مقدرة قبلها فتكون تعليلية وعلى هذا فالناصب للفعل أن مقدرة بعدها لا هى نفسها على الصحيح وما زائدة على الوجهين وعلى كل من الوجهين فهو علة لقوله سريت وبت الخ فالمعنى فعلت ذلك لاجل أن تفوز الخ أى تظفر بوصل من الله لك حيث أحلك المنزلة التى رفعك اليها وناداك الى الصعود اليها وقوله أى مستتر عن العيون بتشديد أى وجرها على أنها

صفة لوصل وهو دال على معنى الكمال أى وصل كامل فى الاستتار عن العيون وقوله وسر أى مكتتم بتشديد أى وجرها على أنها صفة لسر وهو دال على معنى الكمال أى سر كامل فى الاكتتام عن الخلق ولا يخفى ان كلا من مستتر ومكتتم بصيغة الفاعل وبعضهم ضبط مكتتم بفتح التاءين وهذا مأخوذ من قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى كما يدل على ذلك حديث عائشة رضى الله تعالى عنها حيث قالت يا رسول الله ما الذى أوحى اليك ربك اذ قال فاوحى الى عبده ما أوحى قال يا عائشة أتريدين أن تعلمى ما لا يعلمه جبريل ولا ميكائيل ولا نبى مرسل ولا ملك مقرب فقالت اسألك بأبى بكر الا ما علمتنى فقال انى لما كنت قاب قوسين قلت اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالخسف فما أنت فاعل بامتى فقال أنزل عليهم الرحمة من عنان السماء وأبدل سيئاتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى أعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الآخرة اشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت أمتك ولما أردت الانصراف قلت يا رب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة امتى قال الله تعالى أنا لهم ما عاشوا وأنا لهم اذا ماتوا وأنا لهم فى القبور وأنا لهم فى النشور كذا فى بعض الشروح وذكر جمع من الشراح ما نصه وهذا السر مأخوذ من حديث علمنى ربى ليلة الاسراء علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه وعلم خيرنى فيه وعلم أمرنى أن أبلغه قال على رضى الله عنه فكان يسر الى أبى بكر وعمر وعثمان والى ما خير فيه اه لكن لم يوقف على أصل لذلك فى كتب الحديث

فاوحى الى عبده فيه بشارة

حزت كل فخار غير مشترك * وجزت كل مقام غير مزدحم

قوله فحزت الخ) أى فبسبب ما نلت من تلك المرتبة حزت الخ والحيازة بالحاء المهملة الجمع فمعنى حزت جمعت وقوله كل فخار مفعول لحزت والفخار بفتح الفاء كما هو المسموع وان كان القياس الكسر لقول ابن مالك فى الخلاصة

لفاعل الفعال والمفاعله * وغير مامر السماع عادله

وهو ما يفتخر به من الفضائل وقوله غير مشترك أي بينك وبين غيرك بل هو مختص بك وقوله وجزت بالجيم والزاي أي عبرت وتجاوزت وقوله كل مقام مفعول لجزت والمقام الرتبة وقوله غير مزدحم بفتح الحاء أي غير مزدحم فيه لعدم الواصلين اليه وهو من باب الحذف والايصال ولا يخفى أن لفظ غير في الموضعين مجرور على أنه صفة للمجرور قبله وحاصل المعنى فبسبب ما نلت من تلك المرتبة جمعت كل ما يفتخر به من الفضائل المختصة بك وعبرت وتجاوزت كل رتبة غير مزدحم فيها لانه لا يصل اليها غيرك

وجل مقدار ما وليت من رتب * وعز ادراك ما أوليت من نعم

(قوله وجل الخ) أي عظم ذلك فلا يحاط به وقوله ما وليت بالبناء للمفعول أي ما ولاك الله وقوله من رتب بيان لما والرتب المناصب الشريفة وقوله وعز بفتح العين وتشديد الزاي أي امتنع ذلك فلا يحصل لاحد غيرك وقوله ما أوليت بالبناء للمفعول أي ما أولاك مولاك وقوله من نعم بيان لما والمراد من النعم الامور المنعم بها وكل من الجملتين اما مستأنف أو معطوف على ما تقدم

بشرى لنا معشر الاسلام ان لنا * من العناية ركنا غير منهدم

(قوله بشرى لنا الخ) أي هذه المناقب بشرى لنا الخ فبشرى خبر مبتدأ محذوف ولنا صفة له ويحتمل أن بشرى مبتدا ولنا خبر وساغ الابتداء ببشرى لانها في معنى النكرة الموصوفة فانها بمعنى الخبر السار وقوله معشر الاسلام أي معشر أهل الاسلام وهو منصوب على الاختصاص أي أخص معشر الاسلام وقوله ان لنا من العناية ركنا غير منهدم أي ان لنا جميع المسلمين من أجل العناية بنا في الازل شريعة غير متغيرة بالنسخ فالمراد بالركن الشريعة على سبيل الاستعارة التصريحية

الاصلية حيث شبه الشريعة بمعنى الركن بجامع الثبات فى كل واستعار اسم المشبه به للمشبه والمراد بالانهدام التغير لكن لا مطلقا بل بخصوص النسخ أماتنا الله على سنته واتباع ملته بمنه وفضله ورحمته

لما دعا الله داعينا لطاعته * بأكرم الرسل كنا أكرم الامم

(قوله لما دعا الله الخ) أى لما سمى الله الخ ولا يخفى أن لما شرطية ودعا فعل الشرط والله فاعل وداعينا مفعول ولطاعته متعلق بداعينا وبأكرم الرسل متعلق بدعا وكنا أكرم الامم جواب الشرط والمعنى لما سمى الله النبى صلى الله عليه وسلم الذى دعانا أى طلبنا لطاعته تعالى بأكرم الرسل كنا معشر أمته أكرم الامم لان أكرم الرسل لا يبعث الا لأكرم الامم وفى التنزيل كنتم خير أمة أخرجت للناس وجعل بعض الشراح داعينا بدلا من الفاعل وجعل لطاعته متعلقا بدعا والمعنى عليه لما دعانا الله وهو داعينا لطاعته بواسطة أكرم الرسل كنا أكرم الامم والاول أقرب كما لا يخفى

راعت قلوب العدا انباء بعثته * كنبأة أجفلت غفلا من الغنم

(قوله راعت الخ) أى أفزعت الخ وهذه الجملة مستأنفة وقلوب بالنصب مفعول مقدم لراعت لكن على تقدير مضاف أى أصحاب قلوب ويحتمل أنه سمى الذوات بالقلوب فيكون قد عبر باسم الجزء وأراد الكل على سبيل المجاز المرسل والعدا بالكسر والقصر جمع عدو والمراد بهم الكفار وانباء بعثته بالرفع فاعل مؤخر لراعت ولا يخفى أن اسناد راعت الى أنباء البعثة من المجاز العقلى لان موجد الروع فى القلوب هو الله تعالى وأنباء بعثته انما هى سبب فهو من اسناد الفعل الى سببه والمراد بانباء بعثته أخبارها التى صدرت من الكهان والاحبار وغيرهم كقولهم انه سيظهر دين يغلب كل دين وانما أفزعتهم لغفلتهم عنها كما يؤخذ من التشبيه بعد ولو كانوا ملتفتين اليها ما فزعوا منها وقوله كنبأة أى مثل نبأة أى زأرة الاسد التى هى صوته وجملة أجفلت بالجيم والفاء أى افزعت صفة لنبأة

وغفلا بضم الغين وسكون الفاء جمع غافل وهو مفعول لاجفلت وقوله من الغنم بيان لغفلا مشوب بتبعيض وانما كانت غفلا لكونها راتعة في ربيعها مشتغلة في اكلها وشهواتها فاجفلها ذلك الصوت وفرقها

مازال يلقاهم في كل معترك * حتى حكوا بالقنا لحما على وضم

(قوله مازال الخ) اى لم ينفك صلى الله عليه وسلم عن كونه يلقاهم بنفسه تارة وبخيله ورجله اخرى في كل معترك وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم ويلقاهم بالاشباع والجار والمجرور متعلق به والمعترك بفتح الراء محل الاعتراك اى الازدحام للحرب وقوله حتى الخ غاية لقوله مازال يلقاهم في كل معترك وقوله حكوا بفتح الكاف لأن اصله حكيوا قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين ومعنى حكوا اشابهوا وقوله بالقنا اى بطعن القنا فهو على تقدير مضاف والباء للسببية اى بسبب طعنهم بالقنا وكذا بسبب ضربهم بالسيوف ورميهم بالنبل والقنا جمع قناة وهي الرمح ولحما مفعول لقوله حكوا وقوله على وضم متعلق بمحذوف صفة للحما والوضم بالضاد المعجمة ما يضع القصاب اللحم عليه معدا لمن يأخذه وهو المسمى بالطبلية وقيل انه الحديد الذي يغرز فيه اللحم حين يشوى ليؤكل وحاصل المعنى انه صلى الله عليه وسلم مازال يقاتل الكفار حتى تركهم قتلى معدين لاكل السباع والطيور لحومهم ويقال للذليل الحقير لحم على وضم بطريق الاستعارة ويحتمل ان يكون هو المراد هنا كما يحتمل الحقيقة

(ودوا الفرار فكادوا يغبطون به * اشلاء شالت مع العقبان والرخم

(قوله ودوا الفرار الخ) أي تمنوا الهرب منه صلى الله عليه وسلم وانما تمنوه مع أنه أقبح الخصال واذمها عند العرب فانه من أفعال اللئام وما كانوا يرضون به فضلا عن تمنيه لما استمر فيهم من القتل ولما كثرت ودادتهم للفرار وصار من شهواتهم المطلوبة لهم ولات حين فرارهم من غضب الله

تعالى

تعالى الذى حل بهم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم و يد المؤمنين نزل
هربهم منزلة المحال الذى لا ينال الا بالتمنى وقوله فكادوا يغبطون به أشلاء
شالت مع العقبان والرخم أى فلتمنيهم ذلك قربوا من ان يغبطوا بذلك
الفرار أشلاء على وزن اشياء اى اعضاء شالت أى ارتفعت حال كونها
مع العقبان بكسر العين جمع عقاب وهو نوع من الطير ومع الرخم جمع رخمة
وهى نوع من الطير أيضا وانما خص هذين النوعين لعظم ارتفاعهما دون
غيرهما والغبطة هى تمنى الشخص أن يحصل له مثل ما حصل لغيره
فكأنهم يقولون يا ليت لنا مثل ما للاعضاء اللحم التى ارتفعت مع العقبان
والرخم الى منازلها واشلاء جمع شلو بكسر الشين وسكون اللام وهو
العضو من اللحم وانما غبطوا الأعضاء دون العقبان والرخم التى ارتفعت
بها لما بينهم وبين تلك الاعضاء من المشابهة لانهم لا حركة لهم ولا قوة بسبب
طعن القنا وغيره فحالتهم كحالة الاعضاء لا كحالة العقبان والرخم

تمضى الليالى ولا يدرون عدتها * مالم تكن من ليالى الاشهر الحرم

(قوله تمضى الليالى الخ) أى تمر عليهم الليالى بايامها والحال أنهم لا يعلمون
عددها من شدة ما دخل فى قلوبهم من الفزع وخامر بواطنهم من الهلع
بسبب جهاد النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لهم فيسكرون من
الخوف وتذهب عقولهم وينعدم تمييزهم فلا يدرون عدة الايام بلياليها
وعلم مما تقرر ان الواو فى قوله ولا يدرون عدتها واو الحال وقوله مالم تكن
من ليالى الاشهر الحرم أى مالم تكن تلك الليالى من ليالى الاشهر الحرم
التى هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب بخلاف ما اذا كانت تلك
الليالى من ليالى الاشهر الحرم المذكورة فانها تمضى عليهم ويدرون عدتها
لكونهم يفيقون من سكرهم من الخوف وترجع اليهم عقولهم ويوجد لهم
تمييزهم لامساك النبى والمؤمنين عن جهادهم فى الاشهر الحرم فى صدر
الاسلام عند من رأى أن منع قتالهم فيها نسخ وقال عطاء لم ينسخ وهو
ضعيف وما ذكرنا فى عد الاشهر الحرم هو الصحيح وقيل هى المحرم ورجب

الاشهر الحرم

وذو القعدة وذو الحجة وعلى الاول فهى من سنتين وعلى الثانى فهى من سنة ويترتب على الخلاف ما لو نذر صومها مرتبة فيصوم على الاول ذا القعدة أولا الى آخرها ويصوم على الثانى المحرم الى آخرها

كأنما الدين ضيف حل ساحتهم * بكل قرم الى لحم العدا قرم

(قوله كأنما الدين الخ) أى كأنما دين الاسلام ضيف حل ونزل ساحة الكفار فالضمير فى ساحتهم عائد على الكفار كما قاله بعض الشارحين وهو قضية السياق أو ساحة الصحابة فالضمير فى ذلك راجع للصحابة كما قاله بعض الشارحين وهو المسموع من المشايخ وقوله بكل قرم بفتح القاف وسكون الراء أى مع كل شجاع لأن هذا الضيف الذى وقع التشبيه به شجاع فاذا نزل مع شجعان أمثاله فالباء بمعنى مع والقرم بفتح فسكون الشجاع وقوله الى لحم العدا قرم بفتح القاف وكسر الراء أى شديد الشهوة الى لحم العدا المسلمين فالقرم بفتح فكسر شديد الشهوة والجار والمجرور متعلق به وحاصل المعنى على جعل الضمير فى ساحتهم عائدا على الكفار كأنما دين الاسلام ضيف حل ساحة الكفار مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا المسلمين ومن شأن الضيوف اذا كانوا كراما ان يشبعوا عند المضيف لهم مما يشتهون وفيه على هذا اقامة الظاهر مقام المضمر والا فكان مقتضى الظاهر أن يقول الى لحمهم ونكتته التصريح بوصفهم بالعداوة للمسلمين وحاصل المعنى على جعل الضمير فى ساحتهم راجعا الى الصحابة كأنما دين الاسلام ضيف حل ساحة الصحابة مع كل شجاع شديد الشهوة الى لحم العدا المسلمين ومن شان المضيف ان يشبع ضيوفه مما يشتهون وعلى كل فالغرض من ذلك الاخبار بكثرة القتل فى الكفار

يجر بحر خميس فوق سابحة * يرمى بموج من الابطال ملتطم

(قوله يجر الخ) اى يستتبع هذا القرم بفتح القاف وسكون الراء الذى

هو الشجاع فالمراد بالجر هنا الاستتباع فيكون قد شبه الاستتباع بالجر واستعار اسم المشبه به للمشبه ثم اشتق منه يجر بمعنى يستتبع ويحتمل انه شبه الخميس الذى هو كالعربدابة تجر برسن تشبيها مضمرا فى النفس وحذف اسم المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الجر فهو تخييل للاستعارة بالكناية وقوله بحر خميس اى خميسا كالبحر فى تموجه واهلاكه الكفار فهو من اضافة المشبه به للمشبه والخميس هو الجيش العظيم سمى بذلك لأنه مركب من خمس قوائم مقدمة وميمنة وميسرة وساقة وقلب وقوله فوق سابحة اى كائن فوق خيل سابحة اى مسرعة فى طلب الكفار كالسابح فى البحر وقوله يرمى بموج الخ صفة للخميس والمراد بالموج ما يصل الى الكفار من الطعن والقتل وغيرهما فيكون قد شبه ذلك بمعنى الموج واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق التصريح وقوله من الابطال أى صادر ذلك الموج من الابطال وانما لم يقل منهم مع ان الابطال نفس الجيش لافادة أنّ ذلك الجيش كله أبطال والابطال جمع بطل وهو الشجاع وقوله ملتطم صفة لموج اى ملتطم بعضه ببعض

من كل منتدب لله محتسب * يسطو بمستأصل للكفر مصطلم

(قوله من كل منتدب الخ) الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله اى من كل مجيب الخ فالمنتدب بكسر الدال على انه اسم فاعل وضبطه بعض الشروح بفتحها على انه اسم مفعول بمعنى مدعوّ وعلى كل فقوله لله متعلق به وقوله محتسب اى مدخر ثواب عمله عند الله وقوله يسطو اى يصول وقوله بمستأصل للكفر اى بآلة مستأصلة لاهل الكفر كالسيف وغيره من آلة القتال اى مزيل لهم من أصلهم يقال استأصله اذا ازاله من اصله وقوله مصطلم اى مهلك لهم يقال اصطلمه اذا أهلكه وفى الصحاح الاصطلام الاستئصال وعليه فهو توكيد

حتى غدت ملة الاسلام وهى بهم * من بعد غربتها موصولة الرحم

(قوله حتى غدت الخ) اى وما زال هذا المنتدب يسطو ويستأصل لاهل الكفر الى ان غدت الخ فهو غاية لمحذوف وغدت بمعنى صارت وهو بالغين المعجمة وقوله ملة الاسلام اى ملة هى الاسلام فالاضافة فى ذلك من اضافة الاعم الى الاخص لان الملة تشمل سائر الاديان وقوله وهى بهم اى وهى مصحوبة بالصحابة والجملة اعتراضية بين اسم غدت وهو ملة الاسلام وخبرها وهو موصولة الرحم وقوله من بعد غربتها متعلق بغدت بمعنى صارت والمراد بغربتها عدم شهرتها القلة من ينتمى اليها وقوله موصولة الرحم بالنصب على انه خبر لغدت كما علمت والمراد بكونها موصولة الرحم كثرة القيام بحقها بسبب كثرة من ينتمى اليها ويدخل فيها وقد شبه كثرة القيام بحقها بوصل الرحم واستعار اسم المشبه به للمشبه واشار بذلك الى حديث مسلم بدا الاسلام غريبا اى ظهر بين قوم لا يقومون بحقه فهو مقطوع الرحم ثم قامت الصحابة بحقه فصار موصول الرحم

مكفولة ابدا منهم بخير أب * وخير بعل فلم تيتم ولم تئم

(قوله مكفولة الخ) اى محفوظة الخ وهو خبر ثان لغدت وقوله أبدا ظرف لقوله مكفولة وقوله منهم اى من الكفار وقوله بخير أب وخير بعل وهو النبى صلى الله عليه وسلم فانه أشفق على أمته من الاب على أولاده واقوم بمصالحهم من البعل على زوجاته ومثله صلى الله عليه وسلم من يقوم مقامه من الخلفاء الراشدين والعلماء المهديين ولا شك أن المرأة التى كفلها خير أب وخير بعل فى غاية من المكانة ورفاهية من العيش وقوله فلم تيتم بفتح التاءين وسكون المثناة التحتية بينهما أى من جهة الاب وقوله ولم تئم بفتح التاء وكسر الهمزة أى من جهة البعل ففى ذلك لف ونشر مرتب يقال يتم الولد بكسر التاء ييتم بفتحها اذا مات أبوه وهو صغير ويقال آمت المرأة تئيم كباعت تبيع اذا خلت من زوجها ومنه قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم

هم

هم الجبال فسل عنهم مصادمهم * ماذا رأى منهم في كل مصطدم

(قوله هم الجبال الخ) هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لانها جواب عما يقال من الذين صارت بهم الملة الى هذه الحالة والكلام على التشبيه أي هم كالجبال في الصبر والصلابة وهذا يسميه البيانيون تشبيها بليغا لا استعارة وقوله فسل عنهم مصادمهم أي ان ارتبت في هذا فسل عنهم من صادمهم من أعدائهم ولعل مراده فسل عنهم مؤرخ اخبار مصادمهم او فسل مصادمهم على تقدير حياته والا فكيف يتصور سؤاله الآن وقد مات من مدة مئين من السنين حتى عاد رفاتا والمصادمة اصطكاك الصفين وقوله ماذا رأى منهم أي من الشدة التي لا توصف لعظمها وما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر أي أي شيء الذي رأى ويصح أن يكون ماذا بتمامها اسم استفهام وعلى هذا فهو مفرد بخلافه على الاول فهو جملة وقوله في كل مصطدم بفتح الدال أي في كل مكان الاصطدام الذي هو اصطكاك الصفين كما مر والمراد بالمصطدم الاماكن التي التقوا فيها مع أعدائهم وبين مصادمهم ومصطدم تجنيس الاشتقاق وهو رد الصدور على الاعجاز ومن هنا الى قوله طارت قلوب العدا الخ خاصيتها أن من كتبها على باب بلد أو دار أو بستان مادامت مكتوبة لا يصل الى ذلك سارق ولا دود ولا غيرذلك قال قائل هذه الفائدة قد جربت في القمح والشعير وغيرهما وقال أيضا كتبت هذه الابيات على باب دار فجاء السارق فسمع صوتا في الدار فرجع ثم قال لاصحابه ذلك فأخبروه بأن صاحب البيت غائب جمعتين ثم رجع ثاني ليلة فسمع فيه صوتا يقول له ما غبت شيئا ومنعه الله ببركة هذه الابيات

فائدة

وسل حنينا وسل بدرا وسل أحدا * فصول حتف لهم ادهى من الوخم

(قوله وسل حنينا الخ) أي وسل زمن غزوة حنين وسل زمن غزوة بدر وسل زمن غزوة أحد ويحتمل أن يكون مراده وسل اهل حنين وسل

أهل بدر وسل أهل احد أو وسل مؤرخ وقعة حنين وسل مؤرخ وقعة بدر وسل مؤرخ وقعة أحد والتفسير الاول أولى لأن قوله فصول حتف بدل من حنين وما عطف عليه بدل مجمل من مفصل وبعضهم جعله خبر مبتدا محذوف أى هى فصول الخ ومعنى قوله فصول حتف لهم ازمنة موت للكفار وقوله ادهى من الوخم اى اشد داهية عليهم لما يصيبهم فيه من الوخم الذى هو الوباء فان ما يموت منهم فى زمن الوباء مع تطاوله لا يبلغ كثرة من يموت منهم فى زمن مقاتلة المؤمنين لهم مع قصره كالساعة الواحدة وكانت غزوة حنين بعد فتح مكة سنة ثمان وهو اسم لواد بين مكة والطائف وفيه التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون مع المشركين فانهزم الكفار وقتل منهم كثير وسبيت أموالهم ونساؤهم وكانت غزوة بدر من غير قصد من المسلمين اليها فى يوم الجمعة سنة ثنتين وبدر اسم ماء على طريق مكة بينه وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخا وعنده كانت هذه الغزوة وقتل فيها من صناديد قريش سبعون وأسر منهم سبعون وكان عددهم نحو ألف والمسلمون نحو ثلثمائة وروى أنه نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم ولم تقاتل الملائكة فى سوى يوم بدر وانما يكونون عددا ومددا وكانت غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث وهو اسم الجبل بالمدينة كانت الوقعة فيه واستشهد فيها من المسلمين سبعون منهم حمزة وقتل من المشركين اثنان وعشرون رجلا وكان المسلمون سبعمائة والمشركون ثلاثة آلاف والحرب سجال واحدة لنا وواحدة علينا

المصدرى البيض حمرا بعد ما وردت * من العدا كل مسود من اللمم

(قوله المصدرى البيض الخ) أى أمدح المصدرى البيض الخ فهو مفعول لفعل محذوف وأصله المصدرين لكن حذفت نونه للاضافة ان جعلنا

المصدرى

المصدري مضافاً للبيض أو للتخفيف ان جعلناه غير مضاف والمصدرين جمع مصدر بضم الميم من أصدر عن الماء رجع ويقال أصدره غيره اى أرجعه والمراد من البيض السيوف المصقولة فشبه السيوف المذكورة بابل بيض أوردت ينبوعاً أسود يجرى بماء احمر ثم أصدرت عنه حمراء من تلبسها بالماء الذى وردته تشبيهاً مضمراً فى النفس وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشئ من لوازمه وهو الاصدار ففيه استعارة بالكناية وتخييل وقوله حمراً أى من الدماء التى خالطتها وهو حال من البيض وقوله بعد ما وردت اى بعد ورودها فما مصدرية وقوله من العدا حال من قوله كل مسود الواقع مفعولاً لقوله وردت وقوله من اللمم اى الشعر المجاور شحمة الاذن فاللمم بكسر اللام جمع لمة وهى الشعر المذكور ومن زائدة لان المعنى على الاضافة والتقدير كل مسود اللمم فحاصل المعنى أمدح الصحابة الذين أصدروا أى أرجعوا السيوف البيض حال كونها حمراء من الدماء بعد ورودها كل شخص مسود اللمم حال كونه من العدا وفى ذلك دليل على شجاعة الصحابة رضى الله تعالى عنهم حيث لا يرضون الا بقتل سود اللمم من العدا وهم الشبان فى الغالب

والكاتبين بسمر الخط ما تركت * أقلامهم حرف جسم غير منعجم

(قوله والكاتبين بسمر الخط) عطف على قوله المصدرى البيض وأراد من الكاتبين الطاعنين فيكون قد شبه الطعن بالكتابة بجامع التأثير فى كل واستعار الكتابة للطعن واشتق من الكتابة بمعنى الطعن الكاتبين بمعنى الطاعنين على طريق الاستعارة التصريحية التبعية والمراد بسمر الخط الرماح الخطية فالسمر جمع اسمر وهو الرمح والخط شجر تتخذ منه تلك الرماح وقيل موضع باليمامة تجلب اليه تلك الرماح من الهند وقوله ما تركت أقلامهم حرف جسم غير منعجم أى لم تترك اسنة رماحهم طرف جسم من أجسام الكفار غير زال عجمته بل ازالت عجمته اى خفاءه بالطعن بان طعنته ليتميز الكفار من المؤمنين فان

الامر مختلط فى الحروب فيتميز الكافر بطعنه والمؤمن بسلامته كما يتميز الحرف المعجم بنقطه والمهمل بخلوه عن النقط فالمراد باقلامهم اسنة رماحهم فيكون قد شبه اسنة رماحهم بالاقلام واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية والحرف بمعنى الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أى على طرف وجانب من الدين وفى هذا البيت لطائف منها تشبيه الصحابة بالكتبة وأسنة رماحهم بالاقلام وذلك دليل على غاية احكامهم للطعن بها حتى انها فى ايديهم كالاقلام فى يد الكتبة وليس عليهم كبير مشقة فى التصرف بها ومنها الاشارة الى انهم لا يطعنون طعنة الا فى محلها كما لا تنقط الكتبة نقطة الا فى محلها ومنها الاشارة الى انهم أعجموا حروف اجسام الكفار ليتميزوا من المسلمين ويوجد فى بعض النسخ بيت وهو

ان قام فى جامع الهيجاء خاطبهم * تصامت عنه اذنا صمة الصمم

اى ان قام فى مجتمع الحرب خاطب الصحابة تغافلت عنه اذنا صمة الصمم أى أشدهم شجاعة قال العلامة ابن مرزوق وهذا البيت لم يثبت فى روايتى وانما هو فى بعض النسخ والظاهر انه ليس من كلام الناظم ولذلك وقع الاضطراب فى تفسيره وهذا شان كثير مما ادخل فيه وفى ذلك دلالة على خلوص نيته وصدق محبته رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته

شاكى السلاح لهم سيما تميزهم * والورد يمتاز بالسيما عن السلم

(قوله شاكى السلاح الخ) اى حادّيه كما عليه الجوهرى وبعضهم فسره بتاميه اى جامعين لانواعه والمناسب لاخذه من الشوكة التى هى الحدة الاول وتركيب شاكى السلاح كتركيب المصدرى البيض فاصله شاكين السلاح لكن حذفت منه النون للاضافة او للتخفيف واصل شاكى شاوك فدخله القلب المكانى فصار شاكو ثم دخله القلب الذاتى فصار شاكى وقوله لهم سيما تميزهم اى لهم علامة تميزهم عن غيرهم قال تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم

ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود قال بعضهم يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقوله والورد يمتاز بالسيما عن السلم اى والورد يتميز من السلم بالعلامة من طيب الرائحة وحسن الخلقة وبهاء المنظر فان السلم بضد ذلك فالورد والسلم وان اشتركا فى ان كلا شجر مورق ذو شوك الا ان بينهما فرقا ظاهرا لكل ذى بصر وكذلك الصحابة وغيرهم فانهما وان اشتركا فى أن كلا ذو سلاح الا ان بينهما فرقا ظاهرا لكل ذى بصيرة فالصحابة يمتازون من غيرهم بشرف المنزلة وطيب الرائحة وبهاء المنظر وحسن الخلقة فان غيرهم بضد ذلك فالمقصود من قوله والورد الخ توضيح الفرق

تهدى اليك رياح النصر نشرهم * فتحسب الزهر فى الاكمام كل كمى

(قوله تهدى اليك) أى ترسل اليك الرياح التى حصل بها النصر خبرهم السار على وجه الهدية فتهدى بمعنى ترسل وهو بضم التاء من اهدى والمراد برياح النصر الرياح التى حصل بها النصر فالاضافة لادنى ملابسة ويحتمل ان المراد بها بركات النصر وثمراته وقد يراد بالرياح الدولات كما فى قول الشاعر

اذا هبت رياحك فاغتنمها * فعقبى كل عاصفة سكون

والمراد بالنشر الخبر السار وان كان فى الاصل الرائحة الطيبة وقوله فتحسب الزهر فى الاكمام كل كمى كان حق الكلام ان يقول فتحسب كل كمى الزهر فى الاكمام لكن المصنف قد جعله من التشبيه المقلوب على حد قوله

ومهمه مغبرة ارجاؤه * كان لون ارضه سماؤه

والزهر نور الشجر كما مر والاكمام جمع كم وهو غلاف النور والكمى الشجاع فى سلاحه من كمى جسده بالسلاح اذا ستره به واصله كمى بتشديد الياء حذفت منه الياء الساكنة وسكنت المتحركة للوقف وحاصل المعنى انه لما فتحت الازهار فى رياض ملة الاسلام برياح نصرهم كان كلما تهب هذه الرياح من تلك الازهار وتنشر الى الشام روائح نشرهم فتظن كل بطل فى

الدروع الغامرة زهرا فى الاكمام الفاخرة وانما قيد بكونه فى الاكمام لأنه فى أكامه احسن منظرا واطيب رائحة منه فى خارج الاكمام

كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحزم لا من شدة الحزم

(قوله كأنهم فى ظهور الخيل الخ) اى كان الصحابة حال كونهم على ظهور الخيل نبت ربا فى الاستقرار والثبوت حتى انهم لو تحركوا عليها لم ينقلعوا من ظهور الخيل وانما يتحركون للطعن والاتقاء مع ثبوت أصلهم كما يتحرك نبت الربا اذا حركته الرياح فالضمير للصحابة وفى ظهور الخيل حال وفى بمعنى على كما فى قوله تعالى حكاية عن فرعون ولاصلبنكم فى جذوع النخل والربا جمع ربوة بتثليث الراء وهى ما ارتفع من الأرض ونبتها يكون اثبت من غيره لطول عروقه حتى يصل الى الماء ويكون احسن من غيره لانه لا يستقر عليه الماء فيأخذ حظه من الشمس والرياح فتجده اخضر يعجب حسنه الناظرين واما غيره فقد يستقر عليه الماء فيقتله او يضعفه فيصفر لونه وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم كالحبة فى حميل السيل وانما لم يشبههم بالشجر لان الكفار تشبه فى عدم التحرك فانهم لا يتحركون للطعن والاتقاء واما النبت فالرياح تميله يمينا وشمالا وقوله من شدة الحزم بكسر الشين المعجمة وفتح الحاء المهملة وسكون الزاى اى وذلك ناشئ عن استقرارهم وثبوتهم فى ظهور الخيل من قوة جودة رأيهم وتدبيرهم وقوله لا من شدة الحزم بفتح الشين المعجمة وضم الحاء والزاى اى لا من ربط الحزم التى يربط بها السرج او غيره على ظهر الدابة وظاهر ان من فى الموضعين بمعنى لام التعليل

طارت قلوب العدا من بأسهم فرقا * فما تفرق بين البهم والبهم

(قوله طارت قلوب العدا الخ) أى اضطربت قلوب العدا الخ فشبه الاضطراب بالطيران واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الطيران بعد استعارته للاضطراب طارت بمعنى اضطربت على طريق الاستعارة

التصريحية

التصريحية التبعية وقوله من باسهم اى من شدتهم وقوتهم فى الحرب ومن
فى ذلك بمعنى لام التعليل وقوله فرقا بفتحات اى فزعا وهو مفعول لاجله اى
لاجل الفرق والفزع الذى حل بهم وقوله فما تفرق بين البهم والبهم اى
فبسبب ذلك حصل لهم دهش حتى صارت قلوبهم لا تفرق بين البهم بفتح
الباء الموحدة وسكون الهاء جمع بهمة وهى السخلة فالبهم هى السخال وهى
اولاد الضأن وبين البهم بضم الباء الموحدة وفتح الهاء جمع بهمة بضم الباء
وسكون الهاء وهو الشجاع فالبهم هم الشجعان ولا يخفى ان تفرّق فى
كلامه بضم التاء وتشديد الراء من فرّق بالتشديد لا من فرق بالتخفيف

ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد فى آجامها تجم

(قوله ومن تكن برسول الله الخ) لما ذكر انه حصل للعدا الفزع الشديد
من بأس الصحابة اشار الى ان ذلك انما هو بسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث قال ومن تكن برسول الله الخ اى ومن تكن نصرته برسول الله
كالصحابة ومن حذا حذوهم الخ ولا تكون النصرة برسول الله صلى الله
عليه وسلم الا باتباع سنته وترك ما كان على خلاف شريعته وذلك هو
تقوى الله والحامل عليها خوف الله ومن خاف الله خاف منه كل شئ حتى
الاسد فى آجامها فمن حصلت له هذه المرتبة طارت قلوب العدا من بأسه
وسلم من أعدائه وقوله ان تلقه الاسد فى آجامها تجم اى ان تلق الاسد
التى هى جمع أسد وهو الحيوان المعروف من تكن نصرته برسول الله صلى
الله عليه وسلم حالة كونها فى آجامها التى هى جمع اجمة وهى الغابات اى
المحلات التى تستتر فيها كالاشجار الملتفة تجم بكسر الجيم بمعنى تسكت
من هيبته فلا يسمع لها صوت خوفا من أن يكون صوتها دالا عليها فيأتيها
المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم فيقبض عليها وانما قيد الاسد
بكونها فى آجامها لانها فيها أجرأ منها فى غيرها فانه لا يقدر أحد على ان
يدخل عليها فيها ولو انتزعت منه أعز ما يكون عليه لكن ان لقيت المنتصر
برسول الله صلى الله عليه وسلم انعكس الحال هذا ويحتمل ان المراد

بالاسد الشجعان وبالآجام الحصون ويناسب حمل الاسد على حقيقتها قصة سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاسد وهى انه خرج عليه سبع بالصحراء فقال اقسمت عليك برسول الله ان تسكن فسكن وهذا البيت والله ان بعد خاصيتها ان من كان خائفا فى بحر أو بر وكتبها برقة فى كفه وأراها للسباع فانها تذهب عنه باذن الله تعالى

ولن ترى من ولى غير منتصر * به ولا من عدو غير منقصم

(قوله ولن ترى من ولى الخ) ترى بصرية على ما يقتضيه كلام بعض الشارحين ويحتمل انها علمية ومن زائدة فى المفعول والمراد بالولى من آمن به صلى الله عليه وسلم وكان على هديه وطريقته والعدو ضده وقوله به أى برسول الله فان قيل ما فائدة قوله ولا من عدو الخ بعد قوله ولن ترى من ولى الخ مع انه اذا اخبر بان الولى منتصر علم منه ان العدو منقصم لان من المعلوم ان احد المتقابلين اذا انتصر كان مقابله بضد ذلك وبضدها تتميز الاشياء اجيب بانا لا نسلم انه اذا اخبر بان الولى منتصر علم منه ان العدو منقصم وانما يعلم منه انه غير منتصر وذلك اعم من كونه منقصما لجواز أن ينهزم مع سلامته والاعم لا اشعار له بالاخص وعلى تسليم علم ذلك منه فعلمه منه باللزوم والمناسب لمقام المدح التصريح والمنقصم بالقاف وفى بعض النسخ بالفاء والاول اولى لان الفصم بالفاء القطع من غير ابانة والقصم بالقاف القطع مع الابانة كما تقدم

أحل امته فى حرز ملته * كالليث حل مع الاشبال فى اجم

(قوله أحل امته الخ) هذا البيت كالتعليل للبيت قبله فكأنه قال لانه احل امته الخ وقوله فى حرز ملته اى فى ملته الشبيهة بالحرز فالاضافة فى ذلك من اضافة المشبه به للمشبه كما فى قول الشاعر

والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

وانما كانت ملته صلى الله عليه وسلم شبيهة بالحرز لانها تحفظ من اتبعها

من نار الكفر فهى كاعظم الحصون المنيعة التى لا يدخلها الا من هو من اهلها وقوله كالليث حل مع الاشبال فى اجم أى فالنبى صلى الله عليه وسلم حل مع امته فى ملته كالليث حل مع اشباله فى الاجم فكما أنه لا يستطيع احد الدخول على الليث مع اشباله فى الاجم لا يستطيع احد الدخول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع امته فى ملته والليث هو الاسد والاشبال هى اولاده والاجم جمع اجمة وهى الغابة اى الشجر الملتف لا يقال ما أفاده قوله كالليث الخ من ان الليث فى هذه الحالة يخاف منه غيره يخالفه ما أفاده قوله سابقا ان تلقه الاسد فى آجامها تجم لأنا نقول الاسد انما تجم فى آجامها من المنتصر برسول الله صلى الله عليه وسلم كما استفيد مما تقدم وهذا لا ينافى ان غيره يخاف منها كما استفيد مما هنا

كم جدلت كلمات الله من جدل * فيه وكم خصم البرهان من خصم

(قوله كم جدلت كلمات الله الخ) لما كانت النصرة تارة تكون بالسيف وتارة تكون بالحجج وقد تقدم الكلام على الحالة الاولى اخذ يتكلم على الحالة الثانية فقال كم جدلت كلمات الله الخ وكم خبرية فى الموضعين بمعنى كثيرا والمجرور تمييزها وجدلت بتشديد الدال ويجوز تخفيفها اى قطعت وازالت جداله وكلمات الله هى القرآن والجدل بكسر الدال اسم فاعل من جدل جدلا اى أحكم الخصومة احكاما وقوله فيه اى فى امره صلى الله عليه وسلم وقوله وكم خصم البرهان من خصم أى وكثيرا خصم البرهان الذى هو الدليل القاطع من خصم بكسر الصاد وهو شديد الخصومة وفيه الحذف من الاواخر لدلالة الاوائل والتقدير من خصم فيه اى فى امره صلى الله عليه وسلم وحاصل معنى البيت كثيرا ما أزال القرآن جدال المجادل فى امره صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما ازال الدليل القاطع خصومة شديد الخصومة فى امره صلى الله عليه وسلم والاول اشارة الى ماوقع فى القرآن من جواب المعاندين السائلين له صلى الله عليه وسلم ومن ذلك مانقل من ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب

الكهف وعن ذى القرنين فان اجاب عن الكل أو سكت عن الكل فليس بنبى وان اجاب عن البعض وسكت عن البعض فهو نبى فنزلت قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين ونزل قل الروح من امر ربى فاحال علمها الى ربه والثانى اشارة الى ما وقع منه صلى الله عليه وسلم من الآيات حين سألوه آية على رسالته كانشقاق القمر وغيره ولا يخفى ان عطف الثانى على الاول من عطف العام على الخاص وهذا البيت والذى بعده خاصيتهما ان من كتبهما فى ورقة بيضاء لصغير وجعلها فى قصبة وربطها فى خيط حرير وعلقها عليه فانه لا يصيبه شيطان ولا مرض ولا غير ذلك

كفاك بالعلم فى الامى معجزة * فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(قوله كفاك بالعلم الخ) لما ذكر انه كثيرا ما خصم البرهان من خصم عقب ذلك بذكر برهانين حيث قال كفاك بالعلم الخ أى كفاك العلم فالباء زائدة فى الفاعل لان زيادتها فى فاعل كفى كثيرة وقوله فى الامى اى فى النبى الامى وهو الذى لا يقرأ ولا يكتب نسبة للأم كأنه على الهيئة التى نزل عليها من امه وهذا وصف مدح بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لانه دليل على ان القرآن من عند الله واما بالنسبة لغيره صلى الله عليه وسلم فهو وصف ذم والجار والمجرور حال من العلم او صفة له وقوله معجزة أى من جهة المعجزة فهو تمييز للنسبة فى كفى وقوله فى الجاهلية اى الزمن الذى لا علم فيه والجار والمجرور مثل الجار والمجرور قبله وانما قيد بقوله فى الامى وقوله فى الجاهلية لان كلا من كونه أميا وكونه فى الجاهلية مظنة لعدم العلم لانه لا يكون الا بمطالعة الكتب العلمية وهو لا يقرأ ولا يكتب او بملاقاة العلماء وهو منتف فى الجاهلية فتعين ان علمه صلى الله عليه وسلم ليس الا بتعليم من الله تعالى وقوله والتأديب فى اليتم اى وكفاك بالتأديب فى اليتم معجزة فهو معطوف على قوله بالعلم لكن المراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة وان لم يكن مقرونا بالتحدى الذى هو دعوى الرسالة فاندفع ما يقال ان

كونه صلى الله عليه وسلم مؤدبا فى حال يتمه لا يعد معجزة لان المعجزة هى الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدى وهو صلى الله عليه وسلم فى حال يتمه لم يتحد لان التحدى لا يكون الا بعد الاربعين والمراد من التأديب التأدب او انه مصدر المبنى للمفعول فهو بمعنى كونه مؤدبا ليكون وصفا للنبى صلى الله عليه وسلم وانما قيد بقوله فى اليتم بضمتين كما هو لغة فى اليتم بضم فسكون لان شأن اليتيم وهو الصغير الذى لا اب له أن لا يكون فيه من الادب ما يكون فى غيره فان الاب غالبا يهتم بتأديب ابنه ويسعى فى تكميله باكتساب الصفات الحميدة بخلاف غير الاب وهو صلى الله عليه وسلم قد مات عنه أبوه قبل ولادته وقيل بعدها وتربى عليه الصلاة والسلام فى كفالة عمه أبى طالب وكان صلى الله عليه وسلم مؤدبا بأحسن الاخلاق على خلاف العادة فى اليتيم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله أدبنى فاحسن تأديبى وبالجملة فقد بلغ صلى الله عليه وسلم من العلوم ما لا يبلغه من تصدى لها ومن الآداب ما لا يناله من له مؤدب فدل ذلك على أنه رسول الله حقا

خدمته بمديح استقيل به * ذنوب عمر مضى فى الشعر والخدم

(قوله خدمته بمديح الخ) أى خدمته صلى الله عليه وسلم بما تقدم من المدح اطلب من الله أن يقيلنى بسبب هذا المديح ذنوب عمر مضى فى الشعر مدحا لابناء الدنيا والخدم بكسر الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة جمع خدمة فالمراد بالمديح ما تقدم من المدح والسين والتاء للطلب كما تقدمت الاشارة اليه وجملة قوله مضى الخ صفة لعمر وقد ذكر بعضهم ان الناظم كان فى مبدأ أمره كاتب انشاء عند بعض السلاطين وقيل انه كان وزيرا وهذا وان كان مباحا الا انه قد يحوج الى المحرم كما يؤخذ من البيت بعده ومن هنا الى آخر قوله ولم أرد زهرة الدنيا خاصيتها للملسوع تكتب بماء المطر والورد وتمحى ويشربها فانها تزول سريعا باذن الله تعالى

فائدة للملسوع

اذ قلدانى ماتخشى عواقبه * كأننى بهما هدى من النعم

(قوله اذ قلدانى الخ) أى لانهما قلدانى الخ فهذا البيت تعليل للبيت قبله والضمير الفاعل فى قلدانى للشعر والخدم وقوله ماتخشى عواقبه اى آثاما تخشى عواقبها من أنواع العذاب ان لم يغفرها الله تعالى فما واقعة على الآثام والمراد بعواقبها أنواع العذاب وقوله كأننى بهما هدى من النعم أى كأننى بسبب الشعر والخدم هدى من النعم التى هى الابل والبقر والغنم ومن شان الهدى ان يقلد بجعل شئ فى عنقه من نعل ونحوه ليعلم أنه هدى وحاصل المعنى أن الشعر والخدم جعلا الآثام التى تخشى عواقبها من أنواع العذاب قلادة فى عنقى فصرت بسببهما اشبه الهدى من النعم فكما لايخفى حال الهدى على من رآه بما جعل فى عنقه من نعل ونحوه كذلك لايخفى حالى على من رآنى وعرف حالى بما اكتسبته من الآثام التى تخشى عواقبها بسبب الشعر والخدم

اطعت غى الصبا فى الحالتين وما * حصلت الا على الآثام والندم

(قوله اطعت غى الصبا الخ) بين بهذا البيت سبب كون الشعر والخدم قلداه الآثام التى تخشى عواقبها وذلك السبب هو اطاعة غى الصبا والغى ضد الهدى واضيف للصبا لانه يدعو اليه فانه زمن الجهل والبطالة وقوله فى الحالتين أى حالتى الشعر والخدم وقوله وما حصلت الا على الآثام والندم أى وما حصلت منهما الا على الآثام التى صدرت منى وعلى الندم على تلك الآثام

فيا خسارة نفس فى تجارتها * لم تشتر الدين بالدنيا ولم تسم

(قوله فيا خسارة نفس الخ) هذا البيت تحقيق للندم وتبكيت للنفس لان فيه نداء عليها بالخسارة فى تجارتها فكأنه قال يا خسارة نفس موصوفة بما ذكر احضرى فهذا اوانك وهذا كناية عن استعظام خسارة هذه النفس والتعجب منها فان عادة العرب اذا استعظموا شيئا وتعجبوا منه نادوه

لبعضهم وقوله فى تجارتها متعلق بخسارتها وقوله لم تشتر الدين بالدنيا أى لم تأخذ الدين بدل الدنيا بل عدلت عن العظيم الباقى الى الخسيس الفانى وقوله ولم تسم بفتح المثناة الفوقية وضم السين المهملة أى ولم تتعرض لاخذ الدين بدل الدنيا بل أخذت الدنيا وتركت الدين الذى تنجو به فى الآخرة وكان الناظم عنى نفسه فنادى عليها بالخسارة حيث اتبعت الشعر والخدم لابناء الدنيا ولوصحبها التوفيق لتركت ذلك واشتغلت بالدين لكن التوفيق بيد الله يعطيه من يشاء

ومن يبع آجلا منه بعاجله * يبن له الغبن فى بيع وفى سلم

(قوله ومن يبع آجلا منه الخ) هذا البيت تتميم لتحقيق الندم وتبكيت النفس لان فيه توعدا بالغبن حيث بين فيه ان من يبع الآجل بالعاجل يظهر له الغبن والمراد بالآجل الثواب الذى يكون فى الآخرة المحققة الباقية وبالعاجل الذى يأخذه من الدنيا الذاهبة الفانية وهذا على مافى كثير من النسخ مما نصه ومن يبع آجلا منه بعاجله وفى بعضها ومن يبع عاجلا منه بآجله وعليه فالمراد بالعاجل الثواب الذى يكون فى الآخرة المحققة الباقية وبالآجل الشئ الذى يأخذه من الدنيا الفانية الذاهبة وعلى هذا المثل المشهور برة عاجلة خير من درة آجلة ولما كان الثواب المذكور محققا ولابد أطلق عليه عاجل لأنه كأنه حاصل بالفعل ولما كان الشئ الذى يأخذه من الدنيا غير محقق أطلق عليه آجل والظاهر ان الضمير فى منه راجع للدين فى البيت قبله كذا قاله بعض الشارحين والاظهر انه راجع لمن يبع كالضمير فى عاجله وقوله يبن له الغبن أى يظهر له الخداع وقوله فى بيع وفى سلم كل منهما متعلق بالغبن والعطف فى ذلك من قبيل عطف التفسير لأن البيع المذكور فى كلام المصنف يسمى سلما فاندفع مايقال الذى تقدم فى كلام الناظم هو صورة السلم وان صورة البيع غير بيع السلم وبعض الشارحين طرق احتمال أن يكون فى كلام الناظم حذف والتقدير ومن يبع آجلا من متاع الآخرة بعاجله من متاع

الدنيا أو يشتري عاجلا من متاع الدنيا بآجله من متاع الآخرة فقوله في بيع راجع للصورة الاولى وقوله وفي سلم راجع للصورة الثانية وفيه تكلف

ان آت ذنبا فما عهدي بمنتقض * من النبي ولا حبلي بمنصرم

(قوله ان آت ذنبا الخ) هذا البيت تأنيس للنفس وترج لها في رحمة الله تعالى وآت أصله أأت بهمزتين قلبت الثانية ألفا فصار آت بالمد وهو مجزوم بان الشرطية وعلامة جزمه حذف الياء وقوله فما عهدي بمنتقض من النبي أي فما ايماني بمنقطع عن النبي لان الذنب لا ينقض الايمان فالمراد بالعهد الايمان فتكون الاضافة في قوله عهدي للعهد والمعهود هو الايمان وقوله ولا حبلي بمنصرم أي ولا وصلي بمنقطع من النبي صلى الله عليه وسلم فالحبل مستعار للوصل وفي البيت الحذف من الثاني لدلالة الاول كما في نظائره والتقدير ولا حبلي بمنصرم من النبي

فان لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

(قوله فان لي ذمة الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله ووجه ذلك ان اختياره التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم دليل على محبته فيه فانه لا يتسمى بالاسم الا من احب مسماه واما من يكرهه فلا يتسمى به وقوله وهو أوفى الخلق بالذمم أي وهو صلى الله عليه وسلم أشدهم وفاء بها فيقوم بحقها بان يشفع لاهلها لعظم جاهه وعلو مكانته عند ربه وفي كلام المصنف ترغيب في التسمية باسمه صلى الله عليه وسلم وقد جاء في ذلك احاديث فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيأمر بهما الى الجنة فيقولان ربنا بم استأهلنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا الجنة فيقول الله عز وجل عبدي ادخلا الجنة فاني آليت على نفسي أن لا يدخل النار من اسمه احمد او محمد وعن جعفر بن محمد اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا ليقم من

اسمه محمد فيدخل الجنة كرامة لاسمه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ آخر ينادى يوم القيامة يا محمد فيرفع رأسه فى الموقف فيقول الله عز وجل اشهدكم انى غفرت لكل من اسمه على اسم محمد وعن أبى أمامة من ولد له مولود فسماه محمدا تبركا كان هو ومولوده فى الجنة رواه صاحب الفردوس وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ما من مائدة وضعت فحضر عليها من اسمه أحمد أو محمد الا قدس الله ذلك المنزل مرتين وبالجملة فالتسمية باسمه صلى الله عليه وسلم أمر مندوب اليه نسأل الله تعالى أن ينظمنا فى سلك محبته بمنه وفضله ورحمته

ان لم يكن فى معادى آخذا بيدى * فضلا والا فقل يا زلة القدم

(قوله ان لم يكن فى معادى الخ) أى ان لم يكن صلى الله عليه وسلم فى يوم عودى الى الله تعالى آخذا بيدى بان يشفع لى حال كون ذلك فضلا منه لا لسابقة منى تقتضى ذلك فقل يا زلة القدم وهو كناية عن سوء الحال والوقوع فى الشدة والا أى والا لم يكن فى ذلك اليوم اخذا بيدى بان كان آخذا بيدى فقل يا ثبات القدم وهو كناية عن حسن الحال وحصول النعمة فقوله خطابا لمن جرده من نفسه فقل يا زلة القدم جواب الشرط الاول وهو قوله ان لم يكن فى معادى آخذا بيدى وجواب الشرط الثانى وهو قوله والا فان اصله ان الشرطية المدغمة فى لا النافية محذوف لدلالة المقام والسياق عليه والتقدير والا فقل يا ثبات القدم أى وان انتفى لم يكن آخذا بيدى بان كان آخذا بيدى فقل يا ثبات قدمى وبهذا يندفع استشكال هذا البيت بان الظاهر منه ان قوله فقل يا زلة القدم جواب الشرط الثانى فيصير المعنى وان انتفى لم يكن آخذا بيدى بان كان آخذا بيدى فقل يا زلة القدم وهذا فاسد لا شك فى بطلانه وهذا كله على ما فى النسخ من قوله ان لم يكن فى معادى الخ وقيل الرواية فان يكن فى معادى الخ وعليه فلا اشكال لان جواب الشرط الاول محذوف للعلم به من المقام والسياق وجواب الشرط الثانى مذكور بقوله فقل يا زلة القدم وتقدير البيت على

هذا فان يكن صلى الله عليه وسلم في يوم عودي الى الله تعالى آخذا بيدي بان يشفع لي حال كون ذلك فضلا منه لا لسابقة مني تقتضي ذلك فقل باثبات القدم والا أي وان لم يكن كذلك فقل بازلة القدم وهذا ظاهر لا اشكال فيه

حاشاه أن يحرم الراجي مكارمه * أو يرجع الجار منه غير محترم

(قوله حاشاه أن يحرم الخ) هذا البيت لزيادة تسكين النفس من خوفها وتقوية تطمينها من قلقها وحاشا هنا اسم بمعنى الحاشاة وهي التنزيه فهو واقع موقع المصدر فيكون منصوبا بفعل مضمر والتقدير أحاشيه حاشاه أي أنزهه تنزيهه والضمير المتصل به في محل جر باضافته اليه واما حاشا المستعمل في الاستثناء فتارة يستعمل فعلا وتارة يستعمل حرفا كما هو مشهور وقوله ان يحرم الراجي مكارمه أي من أن يحرم النبي صلى الله عليه وسلم الراجي منه مكارمه فهو على تقدير من والفاعل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والراجي مفعول وسكنت ياؤه على لغة والمكارم جمع مكرمة والمراد منها الشفاعة ويجوز ضم ياء يحرم على أنه مضارع أحرم وفتحها على أنه مضارع حرم فانه يقال أحرمه يحرمه بضم الياء وحرمه يحرمه بفتحها ويصح بناء الفعل للفاعل وقد قدمنا الحل عليه ويصح أيضا بناؤه للمفعول وعليه فالراجي نائب فاعل وتسكين يائه حينئذ ظاهر وقوله أو يرجع الجار منه غير محترم الظاهر ان أو بمعنى الواو فالمعنى وحاشاه من ان يرجع الجار منه أي المستجير به الداخل في جواره حال كونه غير محترم بل يرجع محترما بشفاعته صلى الله عليه وسلم فالجار بمعنى المستجير ومنه بمعنى به وغير محترم حال من الجار جعلنا الله من أهل شفاعته أجمعين

ومنذ ألزمت أفكاري مدائحه * وجدته لخلاصي خير ملتزم

(قوله ومنذ ألزمت افكاري الخ) هذا البيت استدلال على قوة رجائه وانه لا يخيب في ظنه فكأنه قال انما قوي رجائي واني لا أخيب في ظني لاني

منذ الزمت افكارى الخ ومنذ ظرف زمان وهو ظرف لوجدته وافكارى مفعول اول لالزمت ومدائحه مفعوله الثانى والضمير العائد على النبى صلى الله عليه وسلم مفعول اوّل لوجدت وخبر ملتزم بكسر الزاى مفعوله الثانى وبه يتعلق الجار والمجرور قبله وتقدير البيت وجدت النبى صلى الله عليه وسلم فى الزمن الذى الزمت فيه افكارى مدائحه خير ملتزم لخلاصى من جميع الشدائد التى تصيبنى والافكار جمع فكر وهو حركة النفس فى المعقولات والمدائح جمع مديح وهو الثناء الحسن وانما كان صلى الله عليه وسلم خير ملتزم لخلاصه من الشدائد لانه وفى بخلاصه منها على احسن الوجوه واتمها واشار المصنف بذلك الى الداء الذى كان اصابه وهو داء الفالج والعياذ بالله تعالى منه وكان هو السبب فى انشاء هذه القصيدة فانه لما اصيب به عملها فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ومسح بيده الكريمة عليه فعوفى فلما استيقظ قال له بعض أصحابه الصالحين اسمعنى القصيدة التى مدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم فلقد سمعتها بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو يتمايل مثل القضيب

ولن يفوت الغنى منه يدا تربت * ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم

(قوله ولن يفوت الغنى الخ) هذه الجملة مستأنفة والغنى بالكسر مع القصر اليسار ومع المد تطريب الصوت مع سرور وبالفتح مع القصر الاقامة ومع المد الكفاية والضمير فى منه عائد على النبى صلى الله عليه وسلم والجار والمجرور متعلق بمحذوف اما صفة للغنى أو حال فالاول ان قدر معرفة والثانى ان قدر نكرة ومن للابتداء وقوله يدا مفعول وجملة قوله تربت صفة ليدا وتربت بكسر الراء أى التصقت بالتراب لكونها مفتقرة افتقارا حسيا بان ضيعت ما كان فيها من الاموال أو معنويا بان ضيعت ما كان لها من الثواب لاقترافها المعاصى وانما لم يفت الغنى منه صلى الله عليه وسلم اليد المذكورة لعموم الغنى منه صلى الله عليه وسلم لجميع الايدى التى تكون كذلك ومنها يد الناظم وقد استدل على ذلك

بقوله ان الحيا ينبت الازهار فى الاكم ووجه الاستدلال بذلك انه كما يشاهد محسوسا ان الحيا بالقصر الذى هو المطر ينبت الازهار جمع زهر فى الاكم بضمتين جمع اكمة كقصب جمع قصبة والاكمة هى الربوة أى المحل المرتفع من الارض مع كونها ليست مظنة النبات لعدم استقرار الماء عليها لعلوها كذلك صلى الله عليه وسلم ينيل الغنى من ليس مظنة الغنى وهو اليد التى تربت وانما انبت الحيا الازهار فى الاكم مع أنها مظنة عدم النبات بسبب عدم استقرار الماء عليها وسرعة انحداره عنها لعمومه حتى للاكم والتشبيه المذكور انما هو على سبيل التقريب والا فهو عليه الصلاة والسلام لا يحيط بحقيقة كماله الا الله تعالى

ولم ارد زهرة الدنيا التى اقتطفت * يدا زهير بما اثنى على هرم

(قوله ولم أرد زهرة الدنيا الخ) لما كان قوله ولن يفوت الغنى الخ يوهم التعريض بطلب شئ من حطام الدنيا دفع هذا التوهم بقوله ولم ارد زهرة الدنيا الخ اى وانما اردت الغنى منه فى الآخرة بالشفاعة فى المذنبين والمراد بزهرة الدنيا مستلذاتها من المال وغيره وانما عبر عنها بالزهرة تشبيها لها بالزهر الذى لا يدوم التمتع به بل يتغير سريعا فيكون فى ذلك استعارة تصريحية والتعبير بالاقتطاف ترشيح لها وهو اما باق على حقيقته أو مستعار للاخذ وقوله يدا زهير فاعل باقتطفت والمراد بزهير الشاعر المشهور وهو ابن أبى سلمى بضم السين أبو كعب صاحب بانت سعاد القصيدة المشهورة وله اخت تسمى الخنساء كانت شاعرة مشهورة وكان الشعر فيهم وراثة ولذلك كان زهير من الشعراء المقدمين على سائر الشعراء الجاهلية كامرئ القيس والنابغة الذبيانى وعنترة وطرفة بن العبد وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى زهير وعمره مائة سنة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعذنى من شيطانه فما لاك بعدها بيتا حتى مات وقوله بما اثنى على هرم أى بالمدح الذى اثنى به على هرم بكسر الراء وهو أحد أجواد العرب وكان أحد ملوكهم وهو ابن سنان بن حيان

بالحاء المهملة وبعدها مثناة تحتية وكان يصل زهيرا بالصلات الجزيلة الخارجة عن العادة ومن جملة ما اتفق له معه انه حلف انه كلما مدحه أعطاه غرة عبدا أو أمة أو قيمتها وانه كلما سلم عليه يعطيه كذلك حتى انه من كثرة اعطائه له استحى منه فكان اذا رآه في قوم قال انعموا صباحا غير هرم فكل هذا لم يرده الناظم اجلالا لمدحه صلى الله عليه وسلم عن ذلك اذ لا يتوسل بالعظيم الا لنيل عظيم

يا اكرم الرسل مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

(قوله يا اكرم الرسل الخ) لما مدح النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الاخبار عن الغائب أقبل بالخطاب عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا اكرم الرسل وفي بعض النسخ يا اكرم الخلق ولكونه صلى الله عليه وسلم اكرم الرسل واكرم الخلق اختص بالشفاعة العظمى وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم في فصل القضاء كما تقدم وقوله مالى من ألوذ به سواك أى ليس لى احد التجئ اليه غيرك وقوله عند حلول الحادث العمم أى عند نزول الحادث العام أى الشامل لجميع الخلق والمراد بذلك الحادث هول يوم القيامة فانّ كلا من الرسل يقول حينئذ نفسى نفسى ويخبر بان الله غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله بعده والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أمتى أمتى وقيل المراد بذلك الحادث الموت

ولن يضق يا رسول الله جاهك بى * اذا الكريم تحلى باسم منتقم

(قوله ولن يضق يا رسول الله جاهك الخ) أى بل هو رحب واسع يسعنى ويسع كل عاص مثلى بجدك على بالشفاعة لتنقذنى مما استحقه من العقاب والمراد من الجاه القدر والمنزلة وهو مأخوذ من الوجاهة وهى رفعة القدر وسعة المرتبة ويقال رجل وجيه أى معروف مشهور بحسن الذكر وجودة الرأى وقوله بى أى عنى وقوله اذا الكريم تحلى باسم منتقم أى وذلك أعنى عدم ضيق جاهه صلى الله عليه وسلم وقت كون المولى اتصف باسم هو منتقم واتصافه بذلك عند انتقامه بالفعل من العصاة وذلك الوقت هو

يوم القيامة وتحلى بالحاء المهملة بمعنى اتصف وبالجيم بمعنى انكشف والاول أصح رواية والثانى أصح دراية وهذا الشرط لا مفهوم له فهو مفهوم موافقة لان جاهه عليه الصلاة والسلام لا يضيق فى كل وقت وقد قيل فى كلام الناظم اشكال كبير وقلق عسير أما الاشكال فلانه يقتضى ان الكريم يتصف فى المستقبل بالانتقام لان اذا للاستقبال مع ان صفاته تعالى قديمة لم تزل ولا تزال واما القلق فلان الاسم عند أهل السنة هو المسمى وحينئذ فيكون التقدير اذا اتصف المسمى الذى هو الكريم بالمسمى الذى هو الاسم وهو المسمى الذى هو المنتقم وهو فى غاية القلق ورد ذلك بان كلام الناظم مبنى على طريق ابى الحسن الاشعرى وهو المرضى من مذهب أهل السنة وحاصله فى ذلك أن الكريم والمنتقم صفتان فعليتان فالكريم من له الكرم والمنتقم من له الانتقام والصفة الفعلية عند الاشاعرة حادثة لانه لا يرجع منها الى الفاعل معنى قائم به ولذا قال أئمتنا لا يتصف البارى تعالى بكونه خالقا فى الازل الا مجازا ولا نسلم أن كل اسم عين المسمى بل من اسمائه تعالى ما هو غيره وهو كل ما دلت التسمية به على فعل كالخالق وبذلك اندفع الاشكال والقلق فى كلام الناظم نعم يرد عليه انه يؤذن كلامه باجتماع صفتين متضادتين فى وقت واحد فى محل واحد فان المراد بالكرم التجاوز عن الذنب او ما يتضمن ذلك والمراد بالانتقام المؤاخذة بالذنب ولا يتأتى اجتماعهما فى الوقت الواحد فى المحل الواحد ويجاب بان المراد بالكريم من شأنه الكرم والتجاوز عن الهفوات والمراد بالمنتقم من اتصف بالانتقام بالفعل فصفته تعالى حينئذ الانتقام والاخذ بالجرائم بالفعل وهذا لا ينافى ان شأنه تعالى الكرم والتجاوز عن الهفوات

فان من جودك الدنيا وضرتها * ومن علومك علم اللوح والقلم

(قوله فان من جودك الدنيا الخ) هذا البيت تعليل للبيت قبله فكأنه قال وانما كان جاهك يا رسول الله لا يضيق بى بل يسعنى وغيرى من العصاة

لان من جودك الدنيا الخ ومن للتبعيض والمراد من الدنيا ما قابل الاخرى
ولذلك جعلها الناظم ضرتها وفى كلامه تقدير مضاف أى خيرى الدنيا
وضرتها التى هى الآخرة فمن خير الدنيا هدايته صلى الله عليه وسلم للناس
ومن خير الآخرة شفاعته صلى الله عليه وسلم فيهم وقوله ومن علومك علم
اللوح والقلم من جهة التعليل لكون جاهه صلى الله عليه وسلم لا يضيق
عنه لانه لاشك أن العلم من أكبر أسباب عظم الجاه وعلوه و يجوز أن
يكون مستأنفا ومن فى قوله ومن علومك للتبعيض أيضا فهى للتبعيض
فى الموضعين والمراد بعلومه صلى الله عليه وسلم المعلومات التى أطلعه
الله عليها فانه تعالى أطلعه على علوم الاولين والآخرين والمراد بعلم اللوح
والقلم المعلومات التى كتبها القلم فى اللوح بامر الله تعالى فانه ورد أول
ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب مقادير
كل شئ حتى تقوم الساعة من مات على غير ذلك فليس منى أى ليس على
طريقتى واستشكل جعل علم اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه
وسلم بأن من جملة علم اللوح والقلم الامور الخمسة المذكورة فى آخر سورة
لقمان مع أن النبى عليه الصلاة والسلام لا يعلمها لان الله قد استأثر بعلمها
فلا يتم التبعيض المذكور واجيب بعدم تسليم ان هذه الامور الخمسة مما
كتب القلم فى اللوح والا لاطلع عليها من شأنه ان يطلع على اللوح
كبعض الملائكة المقربين وعلى تسليم انها مما كتب القلم فى اللوح فالمراد
ان بعض علومه صلى الله عليه وسلم علم اللوح والقلم الذى يطلع عليه
المخلوق فخرجت هذه الامور الخمسة على انه صلى الله عليه وسلم لم يخرج
من الدنيا الا بعد أن اعلمه الله تعالى بهذه الامور فان قيل اذا كان علم
اللوح والقلم بعض علومه صلى الله عليه وسلم فما البعض الآخر أجيب
بأن البعض الآخر هو ما أخبره الله عنه من أحوال الآخرة لان القلم انما
كتب فى اللوح ما هو كائن الى يوم القيامة فقط كما تقدم فى الحديث

ان الله عنده
وينزل الغيث
ويعلم ما فى الار
وما تدرى نفس
تكسب غدا وما
نفس باى ارض
ان الله عليم خبير
لقمان
٣٤

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت * ان الكبائر فى الغفران كاللمم

(قوله يا نفس لا تقنطي الخ) لما خاف الناظم على نفسه القنوط من رحمة الله تعالى بسبب شدة الخوف أقبل عليها يخاطبها بتحقيق رجائه ويؤنسها بعظم فضل ربه وأصل قوله يا نفس يا نفسي بالاضافة لياء المتكلم فحذفت ياء المتكلم ويجوز ضم السين وكسرها كما في قولك يا عبد وقوله لا تقنطي أي لا تيأسي وهو بفتح النون على لغة كسرها في ماضيه وبكسرها وضمها على لغة فتحها فيه وقوله من زلة عظمت أي من أجل زلة كبرت فمن للتعليل ويحتمل أنها للتعدية لكن على تقدير مضاف والاصل من غفران زلة عظمت والزلة بفتح الزاي وتشديد اللام الذنب وقوله ان الكبائر في الغفران كاللمم أي ان الذنوب العظام التي ارتكبتها أيتها النفس في جانب الغفران أي بالنسبة له كصغار الذنوب فالكبائر هي الذنوب العظام واللمم بفتح اللام المشددة وفتح الميم أيضا صغار الذنوب ومعلوم انه تعالى يغفر الصغائر فكذلك الكبائر قال تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي قول الناظم ان الكبائر في الغفران كاللمم ردّ على من زعم أن الكبائر ليست كالصغائر كالمعتزلة فانهم يقولون بأن الكبائر لا تغفر بل مرتكبها يخلد في النار لانه ليس مؤمنا ولا كافرا فيقولون انه منزلة بين المنزلتين ويعذب بعذاب أخف من عذاب الكافر والحق مذهب أهل السنة ان الكبائر كالصغائر في الغفران وهو الموافق للقرآن وللسنة وللدليل العقلي لانه تعالى لا يجب عليه ثواب ولا يتحتم عليه عقاب فالثواب من فضله والعقاب من عدله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

لعل رحمة ربي حين يقسمها * تأتي على حسب العصيان في القسم

(قوله لعل رحمة ربي الخ) لما نهى الناظم نفسه عن القنوط كأنها قالت له أنا لا أقنط لكن أخشى أن لا يكون حظي من الرحمة قدر ذنوبي التي ارتكبتها فأجابها بقوله لعل رحمة ربي الخ أي أرجو أن تكون رحمة ربي تأتي في القسم حين يقسمها بين العصاة على قدر عصيانهم فمن حمل

من

من العصيان حملا كبيرا كان ماناله من الرحمة شيئا كبيرا ومن حمل من العصيان حملا صغيرا كان ماناله من الرحمة شيئا صغيرا والمراد الرحمة التى تنال العصاة لا الرحمة العامة التى تنال المطيع أيضا فلا يقال اذ قسمت الرحمة بحسب العصيان لم يبق للمطيع منها حظ فان قيل كلام الناظم يقتضى ان من كانت ذنوبه اكثر كان ماناله من الرحمة أعظم وكيف يصح ذلك مع ان من كانت ذنوبه اقل كان أقرب للرحمة وأقرب منه من كان طائعا أجيب بان الكلام فى الرحمة التى تنال العاصين وقسمها على هذا الوجه ممكن لجواز العفو عما عدا الشرك وأورد عليه أن مقتضى كلامه عدم دخول بعض عصاة المؤمنين النار مع أن المقرر فى علم الكلام أنه لابد من دخول طائفة منهم النار ثم يخرجون بشفاعته صلى الله عليه وسلم وأجيب بأن الرحمة بالنسبة لهؤلاء هى الشفاعة العامة للاراحة من هول الموقف

يارب واجعل رجائى غير منعكس * لديك واجعل حسابى غير منخرم

(قوله يارب واجعل رجائى الخ) لما اشتملت هذه القصيدة على أنواع التغزل وتوبيخ النفس والوعظ ومدحه صلى الله عليه وسلم وذكر بعض معجزاته ومدح القرآن ومدح الصحابة وذم الكفار والاقرار بالذنب ختمها بالدعاء ثم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقوله يارب أصله يا ربى بالاضافة لياء المتكلم ثم حذفت ياء المتكلم للتخفيف وقوله واجعل رجائى الخ معطوف على محذوف والتقدير يارب ارحمنى واجعل رجائى للرحمة غير منعكس أى غير خائب بأن يحصل المرجو من عفوك عن ذنوبى كبائرها وصغائرها وقوله لديك أى عندك وهو ظرف لقوله اجعل أو لمنعكس وقوله واجعل حسابى غير منخرم أى اجعل ما حسبته أى ظننته من الجميل فيك وهو أن تنيلنى من فضلك وكرامتك ما يليق بى غير ناقص بأن يحصل المحسوب أى المظنون تاما كاملا وفى كلامه الحذف من الثانى لدلالة الاول أى غير منخرم لديك وفى الحديث حكاية عن الله

تعالى أنا عند ظن عبدى بى ان خيرا فخير وان شرا فشر وقد قال من غلب عليه الرجاء

وانى لأرجو الله حتى كأننى * أرى بجميل اللطف ما الله صانع

وفسر بعضهم قوله واجعل حسابى غير منخرم بأن المعنى واجعل تعداد الامور الصادرة منك بالله لى غير منقطع ونوقش بانه يلزم عليه أن الناظم طلب أن لا ينقطع عذابه لان من نوقش الحساب عذب فكيف بمن طال حسابه فكيف بمن دام حسابه ولو قال واجعل تعداد الامور الصادرة منك بالله لى غير معوج بأن يكون مستقيما لخلص من هذه المناقشة

والطف بعبدك فى الدارين ان له * صبرا متى تدعه الاهوال ينهزم

(قوله والطف بعبدك الخ) هذا البيت من تمام الدعاء ومعنى الطف أرفق اذ اللطف معناه الرفق وعنى بالعبد نفسه واختار الوصف بالعبودية لما فيها من غاية الذلة والخضوع وذلك مناسب لمقام الدعاء وقوله فى الدارين أى دارى الدنيا والآخرة أى فيما قدرت عليه فيهما ثم علل ذلك بقوله ان له صبرا أى ان لعبدك صبرا لا يثبت بل متى تدعه الاهوال ينهزم امامها فيصير العبد بلا صبر فيهلك وباللطف يندفع الهلاك وقد امتثل الناظم فى هذا الدعاء لامره صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلاً يقول اللهم هب لى الصبر فقال له طلبت من الله البلاء فاطلب منه العافية

وأذن لسحب صلاة منك دائمة * على النبى بمنهل ومنسجم

(قوله واذن لسحب صلاة الخ) لا يخفى أن قوله اذن فعل دعاء والاذن فى حقه تعالى بمعنى الاباحة واللام للتعدية والسحب بسكون الحاء كما هو لغة فى السحب بضمها وان جعله بعض الشارحين للتخفيف وهو جمع سحاب الذى هو الغيم واضافة سحب للصلاة من اضافة المشبه به للمشبه أى للصلاة الشبيهة بالسحب فى ان كلا رحمة وقوله منك صفة لصلاة وقوله

دائمة صفة أيضا الصلاة ويحتمل أنه صفة لسحب وقوله على النبي أى صادرة على النبي المعهود وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والباء فى قوله بمنهل ومنسجم متعلقة باذن فهي للتعدية وفى الكلام موصوف محذوف والتقدير بمطر منهل ومطر منسجم والمنهل المنصب لشدته والمنسجم السائل لعدم شدته

مارنحت عذبات البان ريح صبا * وأطرب العيس حادى العيس بالنغم

(قوله مارنحت عذبات البان الخ) أى مدة ترنيح عذبات البان الخ فما مصدرية ظرفية والترنيح التميل وعذبات البان أغصانه والبان شجر معروف طيب الرائحة وقوله ريح صبا بفتح الصاد فاعل برنحت والمراد بريح الصبا الريح الشرقية التى تهب صوب باب الكعبة وانما سميت بذلك لانها تصبو أى تميل اليها وتسمى قبولا بفتح القاف لانها تقابل بهبوبها المشرق وأصول الرياح أربعة الاولى الصبا وقد علمتها والثانية الدبور وهى الريح الغربية التى تأتى من مغرب الشمس وانما سميت بذلك لان من استقبل المشرق استدبرها والثالثة الشمال بفتح الشين وهى الريح البحرية التى يسار بها فى البحر على كل حال وانما سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل المشرق والرابعة الجنوب بفتح الجيم وهى الريح القبلية وعامة المصريين يعبرون عنها بالمريسى لانها تهب من بلاد المرس وهم طائفة من السودان حسان الوجوه وكل ريح جاءت بين مهبى ريحين يقال لها النكباء سميت بذلك لانها نكبت أى عدلت عن مهب تلك الرياح الاربعة وقد نظم الشيخ السجاعى حاصل ما تقدم بقوله

أصول رياح أربع سم بالصبا * قبولا أتت من مطلع الشمس شرقيه
دبور أتت من مغرب الشمس فاعلمن * لذا عند مصر سم يا صاح غربيه
شمال تجى من عن شمال مشرق * يسار بها فى البحر تدعى بحريه
جنوب تسمى بالمريسى نسبة * لبلدان سودان وتمى لقبليه *
ومابين ريحين تهب فسمها * بنكباء تجرى كالاصول بلامريه *

وقوله وأطرب العيس الخ أى ومدة اطراب العيس الخ فهو معطوف على
قوله رنحت والاطراب احداث الطرب وهو خفة تنشأ عن سرور ومقتضية
للحركة والنشاط والعيس بكسر العين مناسبة لسكون الياء بعدها وان
كان أصلها الضم وهى ابل بيض يخالطها شقرة أى حمرة شديدة وهى من
كرام الابل ويقال للذكر اعيس وللانثى عيساء والمراد بحادى العيس
سائقها فهو من حدا يحدو اذا ساق الابل وقوله بالنغم متعلق باطرب والنغم
بفتح النون الصوت الحسن وللابل خاصية عظيمة فى حصول الطرب لها
عند سماع صوت الحادى وكلما كان الصوت أحسن كان طربها أكثر
حتى أنها لتقطع المسافة الكثيرة فى الزمن القليل بسبب ما يحصل لها من
النشاط عند سماع الصوت الحسن ولا يخفى أن الترنيح والاطراب
المذكورين لا ينقطعان ما بقيت الدنيا فلذلك أقت الصلاة بهما ويحتمل
أنه أراد بذلك التأبيد فكأنه قال دائما وأبدا وانما خص البان والعيس
لانهما من مالوفات الأحبة وتخصيص ريح الصبا أظهر من ذلك لانها
تصبو الى باب الكعبة التى هى أعظم مكان فى البلد الذى هو مسقط رأس
حبيبه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يحتمل أنه أشار بالعذبات الى
عذبة النبى صلى الله عليه وسلم لتمايلها بتمايله صلى الله عليه وسلم عند
سماعه المديح وأشار بالبان الى ذاته الشريفة لطيب رائحتها كطيب
رائحة البان بل أعظم وأشار بالعيس الى أمته لطربهم عند سماع
المديح كطرب العيس عند سماع صوت الحادى وأشار بالنغم الى المديح
وحاصل المعنى على هذا ما تمايلت عذبة النبى صلى الله عليه وسلم عند
سماع المديح وأطرب المادح أمته بمديحه صلى الله عليه وسلم وفى هذا
البيت والذى قبله براعة الختام وتسمى حسن المقطع وحسن الخاتمة
وهى فى الشعر عبارة عن ختم القصيدة بأجود بيت يحسن السكوت عليه
لانه آخر ما يبقى فى الأسماع وربما حفظ دون غيره لقرب العهد به ويوجد
فى بعض النسخ أبيات لم يشرح عليها أحد من الشارحين لكن لا بأس

بها وهي

ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر * وعن علي وعن عثمان ذي الكرم

والآل والصحب ثم التابعين فهم * أهل التقى والنقا والحلم والكرم

يا رب بالمصطفى بلغ مقاصدنا * واغفر لنا ما مضى يا واسع الكرم

واغفر الهي لكل المسلمين بما * نتلوه في المسجد الاقصى وفي الحرم

بجاه من بيته في طيبة حرم * واسمه قسم من أعظم القسم

وهذه بردة المختار قد ختمت * والحمد لله في بدء وفي ختم

أبياتها قد أتت ستين مع مائة * فرج بها كربنا يا واسع الكرم

حمداً لمن بنعمته تتم الصالحات * والصلاة والسلام على افضل الموجودات * وعلى آله واصحابه ذوي الفضائل الباهرات * ما تعاقب الملوان وطلعت النيرات * وبعد فقد طبعت هذه الحاشية الجليله المشتملة على الفوائد الجزيله التي الفها امام عصره وفريد مصره شيخ الاسلام وقدوة العلماء الاعلام الشيخ ابراهيم الباجوري اسكنه الله في غرفات جنانه وافاض عليه من نسمات روحه وريحانه وقد صححها الفقير مصطفى وهبي مع بذل الوسع في مقابلتها على نسخة المؤلف التي بخطه وكان ذلك على ذمة الفاضلين المكرمين جناب السيد عبد الله النهاري وجناب الشيخ ابو طالب الميمني نزيلي مكة المشرفة الزاهره شرفها الله الى يوم الآخرة وقد انتهى طبعها بالمطبعة الوهبية الكائنة بمحروسة مصر المعزيه

في اوائل شعبان المعظم من شهور سنة

الف ومائتين وثنتين وثمانين ١٢٨٢

من هجرة النبي المكرم

المفخم صلى الله

عليه وسلم

﴿ترجمة المؤلف﴾

هو العالم الفاضل الفريد والامام الكامل الوحيد الذى اشتهر صيته فى الآفاق وشهدت بفضله الاعداء بالاتفاق مولانا الشيخ ابراهيم الباجورى بن الشيخ محمد الجيزاوى ولد رحمه الله سنة ألف ومائة وثمان وتسعين ببلدة البيجور وهى قرية من قرى مصر المحروسه على مسافة اثنتى عشرة ساعة منها نشأ فى حجر والده السعيد وقرأ عليه القرآن المجيد فلما ترعرع ونما انتقل الى الجامع الازهر الاسمى وسنه اذذاك أربعة عشر كما سمع منه رحمه الله واشتهر ثم لما تغلبت الفرنساوية على البلاد المصريه سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجريه ارتحل من مصر الى برّ الجيزه وأقام بها مدة وجيزه ولما أخرجت الفرنساوية من تلك البلاد وقرت عيون أهلها بالصلاح بعد الفساد عاد الشيخ الى الجامع الازهر المنيف وبذل جهده فى تحصيل العلم الشريف ففاق أهل زمانه وسما على أقرانه واستفاد العلوم النافعة وافاد وكان كمن قال وأجاد

نفس عصام سوّدت عصاما * وعلمته الكرّ والاقداما

وكان قد أدرك الافاضل الاعلام المعروفين بجلالة القدر بين الانام منهم الفاضل الجليل الشهير الشيخ محمد الامير الكبير والعالم العامل مغفور المساوى الشيخ عبد الله الشرقاوى والامام الحافظ الراوى الشيخ داود القلعاوى وغيرهم ممن كان فى ذلك العصر الزاهر من ذوى الكمالات والمظاهر الا ان أكثر تحصيله كان على شيخه ذى المعالى الشيخ محمد الفضالى والحبر الهمام ذى الجذبة الالهية الشيخ حسن القويسنى الشهير بفضائله البهية واستمر على ذلك الحال الى ان ظهرت امارات نجح الآمال فامتلأ وطابه من نفائس العلوم وتفجرت أنهار افادته من تلك الغيوم وفاح نشر فضله فى كل ناد وطار ذكره فى جميع البلاد وألف التآليف العديدة المفيده وقصدته الطلبة من

البلاد القريبة والبعيدة فهو تارة يشنف المسامع بدرر الفوائد وتارة يزين سطور الطروس بمحاسن الفرائد وتآليفه مشحونة بالتحقيقات السنيه فمن جملتها هذه الحاشية البهية وقد انتهت اليه رياسة الجامع الازهر ومحفل الدين الانور وتقلدها في شهر شعبان المعظم سنة الف ومائتين وثلاث وستين من هجرة سيد الاولين والآخرين لا غرو وهو ابن بجدتها والقائم بوظائف تجديدها وفي اثنائها اقرأ كتاب الفخر الرازي في تفسير القرآن وحضره افاضل الجامع الازهر الاعيان لكن لم يقدر له الاتمام فانه اصابه مرض الحمام ولم يزل ملازما له الى ان توفي رحمه الله يوم الخميس الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع وسبعين فيكون عمره قد ناهز الثمانين وصلي عليه بالازهر وكان يوما مشهودا لم يكن لغيره من المشايخ معهودا ودفن بالقرافة الكبرى المشهورة بالمجاورين رحمة الله عليه وعليهم أجمعين

(وللشيخ البوصيري في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم)

يارب صل على المختار من مضر * والانبيا وجميع الرسل ما ذكروا
وصل رب على الهادي وشيعته * وصحبه من لطي الدين قد نشروا
وجاهدوا معه في الله واجتهدوا * وهاجروا وله آووا وقد نصروا
وبينوا الفرض والمسنون واختصموا * لله واعتصموا بالله وانتصروا
ازكى صلاة وانماها واشرفها * يعطر الكون منها نشرها العطر
معبوقة بعبوق المسك زاكية * من طيبها أرج الرضوان ينتشر
عد الحصى والثرى والرمل يتبعها * نجم السما ونبات الارض والمدر
وعد وزن مثاقيل الجبال كما * يليه قطر جميع الماء والمطر
وعد ما حوت الاشجار من ورق * وكل حرف غدا يتلى ويستطر
والوحش والطير والاسماك مع نعم * يليهم الجن والاملاك والبشر
والذر والنمل مع جمع الحبوب كذا * والشعر والصوف والارياش والوبر
وما احاط به العلم المحيط وما * جرى به القلم المأمور والقدر

وعدّ نعمائك اللاتى مننت بها * على الخلائق مذ كانوا ومذ حشروا
وعدّ مقداره السامى الذى شرفت * به النبيون والاملاك وافتخروا
وعدّ ما كان فى الاكوان ياسندى * ومايكون الى أن تبعث الصور
فى كل طرفة عين يطرفون بها * أهل السموات والارضين أو يذروا
ملاء السموات والارضين مع جبل * والفرش والعرش والكرسى وماحصروا
ماأعدم الله موجودا واوجد معدوما صلاة دواما ليس تنحصر
تستغرق العدّ مع جمع الدهور كما * تحيط بالحدّ لاتبقى ولاتذر
لاغاية وانتهاء ياعظيم لها * ولالها أمد يقضى فيعتبر
وعدّ اضعاف ماقدمر من عدد * مع ضعف أضعافه يامن له القدر
كما تحب وترضى سيدى وكما * أمرتنا أن نصلى انت مقتدر
مع السلام كما قدمر من عدد * رب وضاعفهما والفضل منتشر
وكل ذلك مضروب بحقك فى * أنفاس خلقك ان قلوا وان كثروا
يارب واغفر لقاريها وسامعها * والمسلمين جميعا أينما حضروا
يارب أعظم لنا أجرا ومغفرة * فانّ جودك بحر ليس ينحصر
ووالدينا وأهلينا وجيرتنا * وكلنا سيدى للعفو نفتقر
والطف بنا ربنا فى كل نازلة * لطفا جميلا به الاهوال تنحسر
بالمصطفى المجتبى خير الانام ومن * جلالة نزلت فى مدحه السور
صلّ وسلم ربى دائما ابدا * عليه أضعاف ماقدمر ينتشر
والآل والصحب والأتباع قاطبة * واختم بخير لنا اذ ينتهى العمر

تمت الصلاة المضرية